شرح
مقصورة ابن دريد

للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي
رحمه الله تعالى

دار الكتاب
الدار البيضاء

شرح
مقصورة ابن دريد

للإمام أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الازدي
رحمه الله تعالى

تأليف
عبد الله الصاوي

طبع بالمغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ـ وبعد ـ فهذا شرح موجز على مقصورة الامام أبى بكر محمد ابن الحسين بن دريد الأزدى رحمه الله

أخذت نفسى بتحقيقه وتمحيصه . وتناولت فيه تفسير غريب اللغة وما تضمنته القصيدة من الحوادث التاريخية المشهورة . وتراجم الرجال الذين وردت أسماؤهم فيها مع بيان معنى كل بيت بمفرده ليقرب فهم المقصورة على طلاب العلم وشداة الأدب والله حسبى وكافى ؟

تعريف بابن دريد

هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامى ابن جرو بن واسع بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدى بن عمرو ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران ابن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان . وهذا النسب يدل دلالة صادقة على أنه من أصل عربى والدرد ذهاب الاسنان ودريد مصغر أدرد تصغير ترخيم لحذف الهمزة من أوله كما يقال فى أزهر زهير

ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين فى خلافة المعتصم ، وقرأ على علمائها ثم سار إلى عمان فأقام بها إلى أن مات . بدأ القراءة على عمه الحسين ثم تولى تعليمه أبو عثمان الاشناندانى ، وروى عن عبد الرحمن بن أخى الاصمعى وأبى حاتم السجستانى وأبى الفضل الرياشى والنورى والزيادى وغيرهم من أكابر علماء العربية . وكان رأس أهل هذا العلم . روى عنه خلق منهم أبو سعيد السيرافى ، والمرزبانى ، وأبو الفرج الاصبهانى وله شعر كثير . وروى من أخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم ، تشهد بذلك له مصنفاته ومصنفات تلامذته ولا سيما الامالى الذى معظمه رواية لأبى على القالى عنه . ولقد تتبعت أساتذة القالى فى أماليه فوجدت له خمسة شيوخ كلهم

يكنى أبا بكر فاذا روى عن أحدهم غير ابن دريد ذكر اسمه أو لقبه إلا ابن دريد فانه إذا قال حدثنا أبو بكر مجردا عن اللقب لم يعن غيره

وقال أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين عند ذكره ابن دريد هو الذى انتهت إليه لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على الشعر ، وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الاحمر وابن دريد . وتصدر ابن دريد فى العلم ستين سنة ، وكان يقال ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء

وقال الخطيب البغدادى : كان واسع الحفظ جدا تقرأ عليه دواوين العرب كلها أكبرها فيسابق إلى إتمامها وحفظها

وقال حمزة بن يوسف سألت عنه الدارقطنى فقال تكلموا فيه وقيل إنه كان يتسامح فى الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر بباله .

قال أبو حفص عمر بن شاهين : كنا ندخل على ابن دريد فنستحى لما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى وقد كان جاوز التسعين

وقال الخطيب : جاءه سائل فلم يكن عنده غير دن نبيذ فأعطاه له ، فأنكر عليه غلامه فقال : لم يكن عندنا غيره وتلا قوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) فما تم اليوم حتى أهدى إليه عشرة دنان ، فقال : تصدقنا بواحد وأخذنا عشرة ! !

وقال الازهرى فى مقدمة كتاب التهذيب فى اللغة : وممن ألف الكتب فى زماننا فرمى بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ ،

ما ليس فى كلام العرب فى كلامها أبو بكر بن دريد صاحب الجمرة وقد حضرته فى داره ببغداد غير مرة فرأيته يروى عن أبى حاتم الرياشى وعبد الرحمن بن أخى الأصمعى . وسألت عنه ابراهيم بن محمد بن عرقة فلم يعبأ به ولم يوثقه فى روايته ، وألفيته فى كبر سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره وقد تصفحت كتابه الذى أعاره اسم الجمهرة فلم أر دليلا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها فى كتابى فى مواقعها لأبحث أنا وغيرى عنها .

قلت : أما دعوى افتعال الالفاظ فابن دريد أعلم ممن اتهمه بالعربية وهو الحجة فيها فالقول قوله لا قولهم وإنما ادعوا الافتعال جهلا والقاعدة أن من حفظ فهو حجة على من لم يحفظ ؛ وأما التسامح فى الرواية فدعوى يحتاج إلى دليل ، ولعل للسند عنده طرقا متعددة . بقى أمر العيدان المعلقة فوجود العيدان لا يكفى لادانة الرجل ولا سيما وأنها معلقة ، وأما الشراب المصفى فلعله كان نبيذا . بدليل قول الخطيب إنه أعطى السائل دن نبيذ . أما ادعاؤهم أنه ما كان يفيق من سكره فانهم المخطئون لأنهم قصروا فى حق من حقوق الله تعالى وارتكبوا إثما عظيما ، فكان عليهم أن يقيموا عليه الحد ، ولم ينقل أحد أنهم قاموا بهذا الواجب عليهم من حقوق الله فلم يكن الرجل سكيراً وإنما تقول الناس عليه واتهموه بهذا ، والناس فى كل عصر مولعون بالطعن على العلماء وتجريحهم ولم يسلم من ذمهم أحد حتى الأنبياء ومع ما نقل عن ابن دريد

من أنه تاب فقد لجوا يرمونه بكل آبدة . ولم يتورعوا عن ذكر المساوىء وقد أمروا بذكر المحاسن والارعواء عن غيرها .

ويؤيد هذا الرأى ما نقل عن السيوطى أنه قال : معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه فى روايته ولا يقبل فيه طعن نفطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة وقد تقرر فى علم الحديث أن كلام الأقران فى بعضهم لا يقدح اه .

ومما يسقط دعواهم ما رواه ياقوت فى معجمه ، قال الأمير أبو نصر بن أحمد الميكالى : تذاكرنا المتنزهات يوما ، وابن دريد حاضر فقال بعضهم : أنزه الاماكن غوطة دمشق ، وذكروا نهر الأبلة ، وسغد سمرقند ، ونهروان بغداد ، وشعب بوان بأرض فارس ، ونوبهار بلخ فقال أبو بكر : هذه متنزهات العيون . فأين أنتم من متنزهات القلوب ، قلنا وما هى يا أبا بكر ؟ قال : عيون الاخبار القتبى (يعنى ابن قتيبة) والزهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبى طاهر ، ثم أنشأ يقول :

ومن تلك نزهته قينة وكأس تحث وكأس تصب
فنزهتنا واستراحاتنا تلاقى العيون ودرس الكتب

ولست أجد وصفا لأخلاق الناس أبلغ ولا أجمع مما وصف به ابن دريد أخلاق الناس ، وبخاصة أهل زمانه حين قال :

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبة وغى إذا ما ميز الناس عاقل

وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم ... إلى نحو ما عاب الخليقة ماثل
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنة ... وإن عاينوا شرا فكل مناضل
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى ... ولا فيهم عن زلة متعافل
وإن عاينوا حبرا أديبا مهذبا ... حسيبا يقولوا إنه لمخاتل
وإن كان ذا دين رموه ببدعة ... وسموه زنديقا وفيه يجادل
وإن كان ذا حلم يسمى بنعجة ... وليس له عقل ولا فيه طائل
وإن كان ذا سمت يقولون صورة ... ممثلة بالعي بل هو جاهل
وإن كان ذا شر فويل لأمه ... لما عنه يحكى من تضم المحافل
وإن كان ذا أصل يقولون إنما ... يفاخر بالموتى وما هو زائل
وإن كان مجهولا فذلك عندهم ... كبيض رمال ليس يعرف عامل
وإن كان ذا مال يقولون ماله ... من السحت قد أربى وبئس المآكل
وإن كان ذا فقر فقد ذل بينهم ... حقيرا مهيلا تزدريه الأراذل
وإن قنع المسكين قالوا لقلة ... وشحة نفس قد حوتها الأنامل
وإن هو لم يقنع يقولون إنما ... يطالب من لم يعطه ويقاتل
وإن يكتسب مالا يقولوا بهيمة ... أتاه من المقدور حظ ونائل
وإن جاد قالوا مسرف ومبذر ... وإن لم يجد قالوا شحيح وباخل
وإن صاحب الغلمان قالوا لريبة ... وإن أجملوا فى اللفظ قالوا مباذل
وإن هوى النسوان سموه فاجرا ... وإن عف قالوا ذاك خنث ومبطل
وإن تاب قالوا لم يتب ؛ منه عادة ... ولكن لإفلاس وما ثم حاصل
وإن حج قالوا ليس لله حجه ... وذاك رياء أنتجته المحافل

وإن كان بالشطرنج والنرد لاعبا ولاعب ذا الآداب قالوا مداخل
وإن كان فى كل المذاهب نابزاً وكان خفيف الروح قالوا مثاقل
وإن كان مغراما يقولون أهوج وإن كان ذا ثبت يقولون باطل
وإن يعتلل يوما يقولوا ، عقوبة لشر الذى يأتى وما هو فاعل
وإن مات قالوا لم يمت حتف أنفه لما هو من شر المآكل آكل
وما الناس إلا جاحد ومعاند وذو حسد قد بان فيه التخاتل

وله من التصانيف هذه المقصورة ، وقد شرحها جماعة منهم ابن خالويه والفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمى السبتى ، وقد عارض ابن دريد فى هذه المقصورة جماعة أشهرهم القاضى التنوخى كما عارضها أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الانصارى القرطاجنى النحوى توفى سنة ٦٨٤ ، وشرحها الشريف الغرناطى وطبعها الحاج التهامى المزوارى باشا مراكش وهى الآن بين يدى ولكن شتان ما بين مقصورة ابن دريد ومقصورة ابن حازم بل هى كما قيل :

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من على

وهذه القصيدة المقصورة صنعها للامير عبد الله ميكال فأجازه عليها عشرة آلاف درهم ، وكان ابنه أبو العباس اسماعيل تلميذاً لابن دريد إذ ذاك ، وهو الذى عناه فى قوله :

ومد ضبعى أبو العباس من بعد انقباض الذرع والباع الوزى

قال أبو العباس لم تصل يدى إذ ذاك إلا إلى ثلاثمائة دينار صببتها

فى طبق كاغد ووضعتها بين يدى ابن دريد حينَ أنشأ المقصورة .

ومن مؤلفاته الجمهرة ، صنفها للامير أبى العباس اسماعيل بن عبدالله الميكالى أيام مقامه بفارس فاملاها عليه إملاء ، قال الميكالى : املى على أبو بكر الدريدى كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظا سنة ٢٩٧ فما رأيته استعان عليه بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى باب الهمزة فانه طالع له بعض الكتب ثم أملاها بالبصرة وبيغداد من حفظه .

ولم يسلم ابن دريد من الحسد فقد ادعى نفطويه إبراهيم بن محمد أنه سرق كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى وهجاه بهذه الأبيات :

ابن دريد بقره وفيه عى وشره ويدعى من حمقه
وضع كتاب الجمهره وهو كتاب العين إلا لا أنه قد غيره

فلما بلغت ابن دريد هذه الأبيات قال فيه مقطوعات منها :

لو أنزل الوحى على نفطويه لكان ذاك الوحى سخطا عليه
أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقى صراخا عليه

قال السيوطى : كانت عند أبى على القالى نسخة من الجمهرة بخط ابن دريد وكان قد أعطى فيها ثلثمائة مثقال فأبى ثم اشتدت به الحاجة فباعها وكتب عليها هذه الأبيات :

أنست بها عشرين عاما وبعتها وقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن لعجز وافتقار وصبية صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرة مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنين

فأرسلها الذى اشتراها إليه وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى (١)

وبهذه المناسبة أذكر أنه كانت لدى نسخة من معجم البلدان لأبى ياقوت كانت عدتى وعونى على تحقيق كثير من نصوص الشعر وأسماء الاماكن ثم اضطررت إلى بيعها فى سنة ١٣٦٩ هـ فقلت بيتا وحيدا :

دمعى على ياقوت كالياقوت ولو اننى أنفقته فى قوتى . اهـ

وقد طبع كتاب الجمهرة فى حيدر أباد فى أربعة مجلدات مع الفهارس

ومن تآليفه كتاب الاشتقاق وقد طبع سنة ١٨٥٤ فى ليبزج وكتاب المقتبس والوشاح . وكتاب صفة السرج واللجام طبع سنة ١٨٥٩ م ضمن مجموعة فى مدينة ليدن . وكتاب الخيل الصغير . والأنواء . وكتاب المجتنى طبع فى الهند ومصر . وكتاب المقتنى وكتاب الملاحن وطبع أولا فى أوربا ثم فى مصر سنة ١٣٤٧ هـ . وكتاب رواد العرب المسمى رواة العرب فى فهرست ابن النديم . وكتاب ما سئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا . وكتاب اللغات . وكتاب السلاح . وغريب القرآن ولم يتمه . وكتاب فعلت وأفعلت . وأدب الكاتب والبنون والبنات . والأمالى . وتقويم اللسان لم تبيض . وكتاب المطر والسحاب والغيث طبع ليدن . وكتاب المقصور والممدود

وقد جمع السيد محمد بدر الدين العلوى أستاذ اللغة العربية بعليكرة

---

(١) لعل هذه الحكاية مفتعله ، أو لعل القالى اضطر مرة أخرى إلى بيع كتاب الجمهرة ، فان ابن خير لم يذكرها فى الكتب التى كانت معه حين دخل الاندلس

شعر ابن دريد فى نحو ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط وعمل له مقدمة وفهارس وتعليقات دلت على عنايته بالآداب غير أنى أرجو أن يتلافى ما فيها من هنات فى الطبعة الجديدة

ولقد كان لابن دريد تلامذة كثيرون ، كلهم أئمة فى اللغة والأدب نذكر منهم - أنا سعيد السيرافى النحوى ، وأبا عبد الله المرزبانى ، وأبا الفرج الأصبهانى ، وأبا على القالى ، والزجاجى ، وابن خالويه ، والحسن بن عبد الله العسكرى ، والرمانى النحوى ، والوزير ابن مقلة ، وابن شاذان ، وأبا العباس إسماعيل الميكالى . وكان يؤم حلقة ابن دريد عدد وفير من الطلاب تغلب عليهم الوضاءة والجمال حتى قيل :

من يكن للظباء صاحب صيد فعليه بمجلس ابن دريد
إن فيه لأوجها قيدتنى عن طلاب العلا بأوثق قيد

وروى بعضهم حضرنا مجلس ابن دريد ، وكان يتضجر ممن يخطىء فى قراءته فكان غلام وضىء جعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد صابر عليه فتعجب أهل المجلس فقال رجل منهم : لا تعجبوا إن فى وجهه غفران ذنوبه فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال ابن دريد : هات يا من ليس فى وجهه غفران ذنوبه ! فتعجبوا من صحة سمعه مع علو سنه .

قال ابن خالويه فى شرح المقصورة : كان ببغداد عباد بن عمر بن الجليس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث الكرمانى

صاحب لغة ، وكان يطعن على ابن دريد وينقض عليه الجمهرة ، فجاء غلام لابن دريد فجلس بحذائه فى الجامع ونقض على الكرمانى جميع ما نقضه على ابن دريد فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم قال أبو بكر بن دريد أعزه الله تعالى عنت الفرس إذا حبسته بعنانه فان حبسته بمقوده فليس بمعن . قال الكرمانى الجاهل أخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عنت فيجب أن يكون معنوناً وإن كان من أعنت فيجب أن يكون معنى ، وأخطأ لكذا وكذا ، فوقف شاعر على الحلقة فقال :

أذللت كرمان وعرضتها ... لجحفل مثل عديد الحصى
وابن دريد غرة فيهم ... فى بحره مثلك كم غوصا
جثا على الركبة حتى إذا ... أحس نزرا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها ... لأصفعن هامته بالعصا

فلم يلتفت إلى الكرمانى بعد ذلك . وقال ابن خالويه فى الشرح المذكور : حضرت ابن دريد وقد ناوله أبو الفوارس غلامه طاقة نرجس ، فقال يا بنى ما أصنع بهذا اليوم ؟ وأنشد :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه ... فلما علاه قال للباطل ابعد

ولابن دريد شعر حسن متين لا يقصر عن شأو المجدين من المتقدمين قوة وسبكا ، ويجعله من الشعراء المعدودين المبرزين ، فمنه :

عيون ما يلم بها الرقاد ... ولا يمحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت ... وتضحك حين ينحبس السواد

لها حدق من الذهب المصفى صـــياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدر استفادت ضياء مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد فى ذراها لأعين من يلاحظها مراد

ومن شعره يرثى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

توخى الهدى فاستنقذته يد التقى من الزيغ إن الزيغ للمرء صارع
ولاذ بآثار الرسول فحكمه لحكم رسول الله فى الناس تابع
وعول فى أحكامه وقضائه على ماقضى فى الوحى والحق ناصع
سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المدجنات الهوامع
لقد غيبت أثراؤه جسم ماجد جليل إذا التفت عليه المجامع
لئن فجعتنا النائبات بشخصه لهن لما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع

ومنه يرثى أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى :

لن تستطيع لأمر الله تعقيبا فاستنجد الصبر أو فاستشعرا الحوبا
وافزع إلى كنف التسليم وارض بما قضى المهيمن مكروها ومحبوبا
إن العزاء إذا عزته جائحة ذلت عريكته فانقاد مجنوبا
فان قرنت إليه العزم أيده حتى يعود لديه الحزن مغلوبا
فارم الأسى بالأسى يطفى مواقعها جمراً خلال ضلوع الصدر مشبوبا
من صاحب الدهر لم يعدم مجلجلة نظل منها طوال العيش منكوبا
إن البلية لا رفر تزعزعه أيدى الحوادث تشتيتا وتشذيبا
ولا تفرق ألاف يفوت بهم بين يغادر حبل الوصل مقصوبا

لكن فقدان من أضحى بمصرعه نور الهدى وبهاء العلم مسلوبا
أودى أبو جعفر والعلم فاصطحبا أعظم بذا صاحبا إذ ذاك مصحوبا

وكانت وفاة ابن دريد ببغداد ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ٣٢١ وقيل يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلة خلت من شعبان ودفن فى مقبرة الخيزران وقيل فى المقبرة المقبرة المعروفة بالعباسية ، وقد مات فى اليوم الذى مات فيه عبد السلام الجبائى صاحب المذهب المشهور ، فقال الناس : اليوم مات علم اللغة والكلام جميعا .

ورثاه جحظة البرمكى بقوله :

فقدت بابن دريد كل منفعة لما عدا ثالث الأحجار والترب
وكنت أبكى لفقد الجود مجتهداً فصرت أبكى لفقد الجود والادب

ورثاه بعض البغداد بين قيل هو أبو على وما أظنه بقصيدة أولها :

يلوم على فرط الأسى ويفند خلى من الوجد الذى يتجدد
ويكبر أن يثهل دمع أراقه تضرم نار فى الحشا ليس يخمد
ويستصغر الرزء الذى جل قدره وكل امرىء باك عليه ومسعد
حرام على الاجفان أن ترد الكرى أجل ما لها إلا التسهد مورد
وبسل على المحزون أن يقبل الاسى بلى حظه حزن به الدهر يكمد
فما لجفونى عذرة حين ترقد ولا لدموعى سلوة حين تجمد
هو الدهر يرمينا بأسهم صرفه ويسمى الرمايا حين يرمى ويقصد
فلا جمع إلا والزمان مفرق ولا شمل إلا بالخطوب مبدد
ولا عهد إلا والليالى وصرفها تحول به عن كل ما أنت تعهد

ولا حال إلا وهى رهن تنقل ... إذا صلحت فى اليوم أفسدها الغد
جرت عادة الدنيا بكل الذى ترى ... وليس لها ترك لما تتعود
فصبرا وتسليما لكل ملمة ... إذا لم يكن يوماً على الدهر منجد
لعمرك ما أصبحته جلداً على التى ... منيت بها لكننى أتجلد
أفى كل يوم يفقد الدهر ساجداً ... يعز علينا فقده حين يفقد
وتفجعنا الدنيا بعلق مضنة ... ننافس فيه ما حيينا ونحسد
نودع خلان الصفاء وتقطع الـ ... ـمقادير منا ود من يتودد
نفارق من نلقى الردى بفراقه ... وينأى القريب الالف منا ويبعد
أرانا بصرف الدهر نفنى وننفد ... وتفنى صروف الدهر أيضا وتنفد
عليك أبا بكر سـلام ورحمة ... بها فى جنان الخلد أنت مخلد
وجاد ثرى ضمنته كل وابل ... من المزن وكاف يراح ويرعد
إذا ما استطار البرق فى جنباته ... حسبت الظبا فيه عشاء تجرد
وإن أرزمت فيه الرواعد خاته ... حنين متال فى يفاع يردد
فقد ضم منك الترب مجدا وسؤددا ... يقصر عن أدنى مداه المسود
فقدناك فقدان المصابيح فى الدجى ... إذا صل عن قصد الهداية مقصد
وماتت يموت العلم منك قلوبنا ... كنت حياها لم تزل بك ترشد
لتبكك أبكار المعانى وعونها ... وغر القوافى حين تروى وتنشد
تسير مسير الأنجم الزهر كلما ... خبا ضوء شعر أشرقت تتوقد
لأنشرت بالعلم الخليل فلتنا ... نشاهده إن ضمنا منك مشهد
وجالستنا بالأصمعى ومعمر ... وأوجدتنا ما لم يكن قبل يوجد
وخلنا أبا زيد لدينا ممثلا ... وأنت بفضل الله أعلى وأزيد

وشاهدتنا بالمازنى وعلمه ... وما غاب عنا إذ حضرت المبرد
وكنت إماما فى الروايات كلها ... يضاف إليك الصدق فيها ويسند
هوت أنجم الآداب والعلم واعتدت ... رياضهما من بعده وهى همد
وكان جناب العلم إذ كان مخصبا ... وأفنانه ميل رواء نميد
فقد أصبحت مذ بان وهى هشائم ... ثوابتها تجتث منها وتعضد
مضيت أبا بكر جميعاً وخلفت ... مساعيك فضلا بيننا ليس يجحد
كما ودع الغيث الذى عم نفعه ... وأضحى به كل البرية يرفد
توحدت بالآداب والعلم والحجا ... فأنت بحسن الذكر منها موحد
حمدنا بك الأيام ثمت عاضنا ... مصابك منها دم ما كان يحمد
شهدنا على الأيام أن سرورها ... غرور كما كنا بفضلك نشهد
على أى شىء منك نأسى إذا جرت ... محاسن وصف بائنات وعود
على علمك الوارى الزناد إذا غدا ... زناد امرىء فى علمه وهو مصلد
وأخلاقك الغر التى لو تجسدت ... لكانت نجوم السعد حين تجسد
على رأيك الماضى المضىء الذى به ... يفض رتاج الخطب والخطب موصد
فقد شملت فيك الرزية يعربا ... ولم يخل منها فيك من يتمعدد
مضى ابن دريد ثم خلد بعده ... سوائر أمثال تغور وتنجد
بدائع من نظم ونثر كأنها ... عقود زهاها درها حين تعقد
كأن لم تكن تروى غليل مسامع ... بقول به يطفى الغليل ويبرد
ولم تبده الخصم الألد بمسكت ... يغادره مستوهلا يتلدد
ولم توقظ الآراء عند سباتها ... وقد توسن الآراء حينا وترقد
ولم تجل أصداء القلوب ولم يقم ... ثقافك منها كل ما يتعود

فما منك معتاض ولاعنك سلوة نظيرك معدوم وحزنى مؤبد
عليك سلام الله ما ذر شارق وغرد فى الأيك الحمام المغرد

فرحم الله أبا بكر رحمة واسعة ، وأنزل عليه شآبيب رضوانه وأسكنه فراديس جنانه ؟

عبد الله الصاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ

يَا ظَبْيَةَ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِالمَهَا تَرْعَى الْخُزَامَى بَيْنَ أَشْجَارِ النَّقَا(١)

---

(١) الظبية : واحدة الظباء أجمل حيوانات الصحراء وبها يضرب المثل فى جمال العيون والجيد . والمها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية وهى أيضا مضرب المثل فى جمال العيون وحورها . والخزامى نبت طيب الرائحة ورعه تناولها له ، والنقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة . يخاطب محبوبته ويصفها بأنها أخذت من الظباء والمها بمجامع الحسن ، وهذا البيت ليس من مقصورة ابن دريد ، وإنما هو للكمال بن الأنبارى وقبله :

شرد عن عينى الكرى طيف سرى ... من أم عمرو فى غياهب الدجى
زاز وسادى والظلام عاكف ... وأنجم الليل مديدات الطلا
أهلا بشخص ما رأينا مثله ... فى يقظة تزهو لنا طول المدى
إذ نحن نزهو والزمان مولع ... بأعين الغيد وأجياد الظبا
نواعس مثل المهى نواهد ... خمص البطون عاليات المنتجى
والغانيات . لا يردن من بدا ... فى عارضيه الشيب لو رام الصبا
لما رأت شيبى عم مفرقى ... قالت غبار يا خليلى ما أرى
ولم تزل تمسحه بمرطها ... والقلب ما بين إياس ورجا
قلت لها موعظة لعلها ... تعى صروف ما رأت قد علا

ويروى : يا ظبية ... ... راتعة بين الهضيم والحشا

إِمَّا تَرَى رَأْسُهُ حَاكَى لَوْنُهُ طُرَّةَ صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى (١)

وَاشْتَعَلَ الْمُبْيَضُّ فِي مُسْوَدِّهِ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزْلِ الْغَضَا (٢)

وهى كما ترى فى غاية التكلف والبعد عن أسلوب ابن دريد وفى تخيره للمعانى وانتقائه للألفاظ ، وقد أجمع العلماء على هذا واكتفوا بالبيت الأول مما وضعه ابن الأنبارى وما دفع الكل إلى هذا التعسف إلا طلبهم لمرجع الخطاب فى قوله « ترى » فرأوا أن يبدؤا القصيدة بتشبيب على طريقة العرب فجعلوه مؤنثا ، ولست أدرى أكانوا أبصر بأساليب الكلام من ابن دريد ولم لم يرجعوا التاء إلى الدهر الذى يخاطبه ويشكوه فى الأبيات أو يجعلوا الكلام على معنى الاستفهام فيكون أول القصيدة :

إما ترى رأسى حاكى لونه - على معنى يا دهر أو إما ترى باشباع فتحة الراء أو أما ترى يا دهر .

(١) أما ترى : أصلها إن ترين ، وما زائدة ، وإن حرف شرط ، وفاعل ترى باسكان الياء المحبوبة أو الدهر مع إشباع فتحة الراء وسيأتى جواب الشرط عند قوله فكل . ولنا أن نجعل أما استفهامية ، والمخاطب الدهر والفاء من فكل عاطفة . بدليل أن ابن دريد لم ينسب ولم يشبب ولم يخاطب محبوبة فى صدر هذه القصيدة وإنما فعل هذا فى مكان آخر منها عند قوله :

ولاعبتنى غادة وهنانة تضنى وفى ترشافها برء الضنى

وحاكى : أشبه ، وطرة الصبح يعنى وجهه ، وطرة كل شىء حافته وجانبه ، ومنه طرة الكتاب وهى الحاشية التى لا هدب لها ويقال لها كنفه أيضا . والأذيال : الأطراف واحدها ذيل ومنه ذيل القميص . والدجى : الظلمة جمع دجية من قولهم ليل داج أى مظلم .

(٢) اشتعل : فشا وانتشر ، من قول الله عز وجل (واشتعل الرأس شيبا)

فَكَانَ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ حَلَّ فِي أَرْجَائِهِ ضَوْءُ صَبَاحٍ فَانْجَلَى (١)

وَغَاضَ مَاءُ شِرَّتِي دَهْرٌ رَمَى خَوَاطِرَ الْقَلْبِ تَبْرِيحَ الْجَوَى (٢)

وَآضَ رَوْضُ اللَّهْوِ يَبْسًا ذَاوِيًا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ بَجَّاجَ الثَّرَى (٣)

والمبيض منه الشعر الأشيب ومسوده الشعر الذى بقى أسود على حاله . والجزل : ما غلظ من الحطب ، والغضاء : ضرب من الشجر يبقى جمره محمرا بعد الاحتراق طويلا واحدته غضاة . قال الشاعر :

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا شبوه بين جوانحى وضلوعى

(١) البهيم : الاسود يعنى شعر رأسه أيام الصبا والشباب وليل بهيم لاضوء فيه إلى الصباح . وحل : نزل ؛ قال الله عز وجل (أو تحل قريبا من دارهم) وأرجاؤه : أطرافه وواحد الأرجاء رجا ، وهى مقصورة قال الله عز وجل (والملك على أرجائها) . وأما الرجاء من الأمل فممدود . وانجلى : ذهب وانكشف ، قال الله عز وجل : (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء)

(٢) غاض : نقص ، من قوله تعالى (وغيض الماء) أى نقص يقال غضت الماء فغاض إذا انساب فى الأرض أى غاض وذهب . وقوله : ماء شرتى ، اسم لماء شبابه وقوته والشباب لا ماء له ولكنه استعارة ، وأصل الشرة الحدة والنشاط ، فاستعارها ههنا للشباب . والخواطر : الهمم وهو ما يخطر بالقلب من الفكرة وأراد بخواطر القلب الفطنة وحدة الذكاء والتبريح : البلوغ فى المشقة إلى غايتها ، وهو من قولهم برح بى هذا الأمر إذا بلغ به غاية الحزن والجوى : سقم الجوف من طول المرض ، وقيل تأثير الحزن فى القلب يقال جوى يجوى جوى مثل ضنى يضنى ضنى .

(٣) آض : رجع يقال آض يئيض أيضاً . وروض اللهو : فى هذا الموضع استعارة لأن اللهو لا روض له ، والروض هو المكان المعشب ، وتسميته فى الأرض حقيقة وتسميته فى اللهو مجاز ، والروض بهذا اللفظ جمع الواحدة

وَضَرَّمَ النَّأْيُ المُشِتُّ جَذْوَةً ... مَا تَأَتَّلِى تَسْفَعُ أَثْنَاءَ الحَشَا(١)

وَاتَّخَذَ التَّسْهِيدُ عَيْنِى مَأْلَفًا ... لِمَاجَفَا أَجْفَانَهَا طِيفُ الكَرَى(٢)

روضة مثل نور ونورة وجوزة ، ويجمع أيضا على رياض مثل صحفة وصحاف ويجمع أيضا على روضات مثل بيضة وبيضات ، وبيسا : أى يابسا . وذاويا . والمجاج : الصباب من قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه على قشره الأعلى ومج الرجل الماء إذا ألقاه من فيه ، ومجاج الثرى أيضا أيضا مثله . وإنما يعنى بهذا القول أيام شبابه شبهها بروضة وماء يقول عفت هذه الروضة أرضا ميتة لامنفعة فيها . والثرى : التراب الندى مقصور ، وأما الثراء بالمد فمعناه الغنى والسعة .

(١) ضرم : أشعل وأوقد . والنأى : البعد يقال نأى ينأى نأيا إذا بعد ، قال الله عز وجل (أعرض ونأى بجانبه) وقال : (وهم ينهون عنه وينأون عنه ق) ؛ والمشت : المفرق يقال أشت يشت إذا فرق فهو مشث ، وشت يشت شتا إذا تفرق هو ، والقوم الأشتات المتفرقون واحدهم شت ، قال الله عز وجل (يومئذ يصدر الناس اشتاتا) أى متفرقين ، وفى الاثنين شتان مثل الزيدان والجذوة : الجمرة العظيمة ، وقيل الجذوة القطعة تحترق من الخشب فتق منها بقية قال الله عز وجل (أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) وقوله ما تأملى : أى ما تقصر وتأتلى وزنه تفتعل من قولهم ما ألوت أفعل كذا أى ما قصرت قال الله عز وجل (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة) أى لا يقصر ، وتسفع تحرق وقيل تسفع وتؤثر فى قولك سفعته النار إذا أحرقته وتركت فى جسمه آثارا . وأثناء الحشا : أعنى مارق من البطن وتغضن واحدها ثنى وأراد به القلب والجوف وقيل أثناء الحشا نواحيه وجهاته .

(٢) التسهيد : والسهاد السهر وهو فقد النوم . ومألفا : أى صاحبا

فَكُلُّ مَالَاقَيْتُهُ مُغْتَفَرٌ فِي جَنْبِ مَا أَسْأَرَ مُسْحَطُ النَّوَى (١)

لَوْلَابَسَ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ بَعْضُ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي فَضَّ أَصْلَادَ الصَّفَا (٢)

والمـألف هو الموضـع الذى تقع فيه الألفـة أى الاجتماع والصحبة مثـل المحضر والمشهد فأقام المألف هنـا مقام الألف . والإلف هو الصاحب والمألف :مكان الاجتماع . جفا : أى هجر والجفوة ، والجفاء الهجران، يقال جفانى فلان إذا هجرنى . والجافى أيضاً فى غير هذا الخشن . والأجفان : أغطية العيون واحدهـا جفن بمنزلة جفن السيف وهو غمده . والطيف مايراه الانسان من خيال محبوبته . والكرى : النوم

(١) مغتفر : أى متجاوز عنه متروك ، ومنه قولهم فى الدعاء غفر الله لك معناه تجـاوز الله عنك . وأصـل الغفران التغطية ، وسمى مغفر الدرع مغفرا لأنه يغطى الرأس فقول الداعى : اللهم اغفر لنا ذنوبنا معناه اللهم غطها واسترها . وأسأره : أبقاه والسؤر البقية . وفى الحديث « اذا شربتم فأسئروا » أى أبقوا بقية فى الاناء . وقوله فكل ما لاقيته البيت هو جواب الشرط المتقدم ان جرينا على أن إما شرطية يقول : إن ترى شعرى قد ابيض شيبا وذهبت قوتى ورمانى الدهـر بأرزائه وأحـداثه الخ ما وصف به حاله فذلك كله مغتفر فى جنب تلك البقيةالقليلة من القرب أو الامل . وإنما يريدبهذا الكلام ان يهون على نفسه زمان شبابه وكبره عند اغترابه

(٢) لابس : خالط . والاصم : الصلب . وفض : كسر وأصل الفض التفريق قال الله تعـالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) أى تفرقوا. والأصـلاد : جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة قال الله عز وجل (فتركه صلدا) . والصفا الصخر الصلاب الوحدة صفاة والمذكر صفوان قال الله تعالى كمثل صفوان عليه تراب) يقول : إن بعض الذى يلقاه قلبى تحطم بلابسته الصخر الأصم وتهيله ترابا

إِذَا ذَوَى الْغُصْنُ الرَّطِيبُ فَاعْلَمَنْ ... أَنَّ قُصَارَاهُ نَفَادٌ وَثَوَى (١)

شَجِيتُ لَا بَلْ أَجْرَضَتْنِي غُصَّةٌ ... عَنُودُهَا أَقْتَلُ لِي مِنَ الشَّجَى (٢)

إِنْ يَحْمِ عَنْ عَيْنَيَّ الْبُكَا تَجَلُّدِي ... فَالْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى سُبُلِ الْبُكَا (٣)

---

(١) ذوى : جف وذبل ، يقال ذوى يذوى ذويا وفى الحديث « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستاك وهو صائم بعود قد ذوى » والرطيب : الناعم الرطب . وقصاراه : آخر أمره ومنتهاه وغايته . والنفاد : الفناء والذهاب والانقطاع والفراغ ، والثوى : الهلاك . ثوى كرضى ، هلك . يبكى نفسه لان حلول الشيب من نذر الهلاك ، يقول إن العود إذا ذبل ، وماء الشباب إذا جف فأيقن بأن عاقبة ذلك الموت والهلاك لامحالة .

(٢) شجيت : أى حزنت ، والشجا الحزن ، ويقال له الشجو شجى يشجى شجا وشجوا ، والغصص : الاختناق . يقال من ذلك شجى يشجى شجا إذا غص . وأجرضتنى : خنقتنى غصة الموت . والجرض هو الاختناق بالريق ، يقال شجيت بالعظم وغصصت باللقمة ، وشرقت بالماء ، وجرضت بالريق ، وفى المثل حال الجريض دون القريض ، قال أبو على القالى وسألت ابن دريد عن بيت شعر بعد أن فلج بعامين تقريبا فقال « لئن طفئت شحمتا عينى لم تجد من يشفيك من العلم »

قال أبو على « ثم قال لى : يابنى وكذا قال لى أبو حاتم وقد سألته عن شىء ثم قال لى أبو حاتم وكذلك قال لى الأصمعى وقد سألته عن شىء »

قال أبو على « وآخر شىء سألته عنه جاوبنى أن قال لى يابنى حال الجريض دون القريض . فكان هذا الكلام آخر ماسمعه » . وعنودها : معارضها وهو ما عاند منها أى ماعارض يراه أشد إيلاماً من الغصة

(٣) إن يحم : إن حرف شرط ، ويحم جزم بالشرط وجوابه الفاء

لَوْ كَانَتْ الأحْلَامُ نَاجَتْنِي بِمَا أَلْقَاهُ يَقْظَانَ لأَصْمانِي الرَّدَى[1]

التى فى قوله . فالقلب . يحم : يمنع . والتجلد : التصبر . والسبل : الطرق واحدها سبيل ، وعنى بذلك الهوى الذى يأتى البكاء من أجله وسببه . والبكا يمد ويقصر

(١) الأحلام : جمع حلم ، وهو ما يراه الإنسان فى منامه قال الله عز وجل (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) وناجتنى : أخبرتنى واليقظان : الذى ليس بنائم وجمعه أيقاظ قال الله عز وجل (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) لأصمانى : أى لقتلنى مكانى بلا تأخير ، والاصماء القتل دون تلبث ، والتلبث . المكث يقال رمى فلان الصيد فأصماه أى أصاب مقتله قيل أرماه فأشواه ، . والشواء إخطاء المقتل قال ابن مقبل :

أرمى للنحور بها فأشويها وتثلنى ثلم الاناء فأغدو غير منتصر

قال الأصمعى : يقال أشواه إذا لم يصب مقتله ، وشواه بغير ألف إذا أصاب منه المقتل ، والشوى فى غير هذا الموضع اليدان والرجلان ، قال امرؤ القيس :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

والشوى أيضا الشىء الهين الحقير ، قال الشاعر :

وكنت إذا الأيام أحدثن هالكا أقول شوى ما لم يصبن صميمى

أى هين ، ويقال : كل ذلك شوى ما سلم دينك أى هين ، ما لم يصب دينك لأن المصيبة أعظم ما تكون فى الدين ، وهى فى غير الدين صغيرة ، ومنه قولهم فى الدعاء . اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا . والشوى أيضا رذال المال قال الشاعر :

وإنك ما سلبت نفسا شحيحة عن المال فى الدنيا بمثل المجاوع

أكلنا الشوى حتى إذا لم تدع شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع

والشوى أيضا جمع شواة وهى جلدة الرأس قال الله عز وجل (إنها لظى

مَنزِلَةٌ مَاخِلتها يَرضَى بِهَا لِنَفسِهِ ذُو أَرَبٍ وَلاَ حِجَا (١)
شَيْمُ سحَابٍ خُلَّبٍ بَارِقُه وَمَوْقِفٌ بَيْنَ ارْتِجَاءٍ وَمُنَى (٢)
فِي كُلِّ يَوْمٍ مَنزِلٌ مُسْتَوْبَلٌ يَشْتَفُّ مَاءً مُهْجَتِي أَوْ مُجْتَوَى (٣)

نزاعة للشوى) أى لجلود الرءوس . وقال الأعشى :

قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته
أم لا أراه كما عهد ت صحا وأقصر عاذلاته

الردى : الهلاك وتصريفه ردى يردى ردى قال الله عز وجل (واتبع هواه فتردى) أى فتهلك . يقول لو أرتنى الاحلام الأمر الذى أريته فى اليقظة لهلكت مما أرى فى المنام . فكيف بى وأنا ألقى ما أجده فى اليقظة .

(١) منزلة : أى درجة وجمعها منازل . ماخلتها أى ما حسبتها . وذو أرب : أى ذو عقل يقال فلان أريب أى عاقل . والحجى : أيضا العقل .

(٢) الشيم : النظر إلى البرق خاصة ، إذا نظرت إليه من أى النواحى يأتى . والخلب : البرق يخلب النظر . ولكن لا ماء فيه ، والارتجاء : من الترجى ضد اليأس وهو طلب الأمر المتوقع حصوله ، والمنى : جمع أمنية وهى من التمنى ، وهو طلب ما فيه عسر ، يقول إن آمالى ضائعة وحالى كمن ينتظر السقيا من السحب المبرقة التى لا ماء فيها ، ولكنى مع ذلك لا أيأس بل أرجو وآمل حصول آمانى .

(٣) المنزل : الموضع . والمستويل : المستثقل . والمجتوى : المستكره . ويشتف : يستقصى ، والاشتفاف : الاستقصاء يقال اشتف فلان ما فى الاناء إذا استقصاه . والمهجة : النفس ، وجمعها مهج ، وقيل المهجة دم القلب ، والمجتوى المكروه يقال اجتويت البلاد إذا كرهتها ، وإن كانت موافقة لك واستوبلتها إذا لم توافقك وإن كنت غير كاره لها .

مَا خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يَثْنِينِى عَلَى
ضَرَّاءَ لَا يَرْضَى بِهَا ضَبُّ الْكُدَى (١)

أُرَمِّقُ الْعَيْشَ عَلَى بَرْضٍ فَإِنْ
رُمْتُ ارْتِشَافًا فَوْقَ صَعْبِ الْمُنْتَشَى (٢)

---

(١) ماخلت: أى ما توهمت ، ويثنينى يردنى ويعطفنى ، يقال ثناه يثنيه إذا عطفه، والضراء : الصخرة الصماء ، وقيل الضراء : الأرض المشرفة . والضب مولع بالحفر فيها أبدا ، والضراء : مأخوذة من الضر الذى هو ضد النفع ، وتجمع على ضرورات على غير قياس . وقال الأخفش لا واحد لها . والضب : واحد الضباب وهى دواب تسكن الأرض الصلبة والكدى : جمع كدية . وضباب الكدا : سميت بذلك لكثرة حفرها فى الأرض

(٢) الرمق : بقية الحياة ، وعيش رمق يمسك الرمق ، والرمقة ، بضم الراء وككتاب وسحاب وجبل ، البلغة أو قليل يمسك الحياة. والرمق بضم الراء والميم الفقراء المتلغون بالرماق للقليل من العيش ، والترميق : العمل يعمله ولا يحسنه يتبلغ به وهو مرمق العيش . ومرمقه كمعظم إذا كان مضيقا عليه مقترا عليه رزقه . ارمق العيش : أى أسدده وأقطعه عن التعليل . واختلف فى قول أبى بكر فيه فقال مرة أرمق بكسر الميم وقال مرة أرمق بفتحها فاذا كان أرمق بكسر الميم كان الفعل مبنيا للمعلوم والفاعل أنا ، وإذا كان أرمق بالفتح كان الفعل لغيره على ما لم يسم فاعله فكان التقدير أعطى منه بقدر ما يمسك رمق وهو مقدار القوت .

والبرض : العطاء القليل ، وقال بعض اللغويين البرض القليل من الماء وقوله فان رمت : أى هممت ، وقيل عالجت . والارتشاف : أن يستقصى

أَرَاجِعٌ لِي الدَّهْرَ حَوْلاً كَامِلاً ... إِلَى الَّذِي عَوَّدَ أَمْ لَا يُرْتَجَى (١)

يَادَهْرُ إِنْ لَمْ تَكُنْ عُتْبَى فَاتَّئِدْ ... فَإِنَّ إِرْوَادَكَ وَالْعُتْبَى سِوَا (٢)

رِفْهْ عَلَيَّ طَالِمَا أَنْصَبْتَنِي ... وَاسْتَبْقِ بَعْضَ مَاءِ غُصْنٍ مُلْتَحَى (٣)

لَا تَحْسَبَنَّ يَادَهْرُ أَنِّي ضَارِعٌ ... لِنَكْبَةٍ تَعْرُقُنِي عَرْقَ الْمُدَى (٤)

شرب ماقى الاناء وهو دون الاشتفاف فى الاستقصاء ، والاشتفاف عندهم عيب . والمنتشى : المطلب البعيد .

(١) الحول : السنة وراجع أى مرجع ومعيد يقول : أمرجع لى الدهر من أيامى السالفة الغنية بالنعمة والشباب والقوة حولا واحدا بأكمله يتعنى به كعادتى أم أن الدهر لا يرتجى منه ذلك

(٢) العتبى : الرضى وهو الرجوع إلى المراد . فاتئد : ارفق يقال من ذلك اتأد يتئد اتئاداً واسم الفاعل متئد . والارواد : الرفق والمهل أرود يرود إرواداً فهو مرود ، ويقال أرود به أى رفق . ومنه قوله عز وجل(فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) وسوا : كسواء أى مثل ومستو .

(٣) رفه : أى وسع على ورغد عيشى . وطالما : أى زمنا طوالا : وانصبتنى : بالصاد غير المعجمة اتعبتنى من النصب وهو التعب ، ويروى انضيتنى بالضاد المعجمة وياء تحتية مثناة بعدها ، بمعنى هزلتنى وأضعفتنى ، والضنى الهزال يقال من ذلك ضنى يضنى ضنى إذا ضعف وهزل ، وأضنانى المرض أهزلنى . والملتحى : المقشور ، يقال لحوت العود ألحوه لحوا ولحيته أيضا ألحاه لحيا ، واللحا : قشر العود . يقول إنه كغصن ضعيف ذهبت أحداث الزمن بلحاه وقشره .

(٤) الضارع : الذليل الخاضع . والنكبة : المصيبة والشدة . وتعرقنى : أى تزيل لحمى عن عظمى من قولهم عرقت العظم أعرقه عرقا إذا أكلت

مَا رَسَتْ مَنْ لَوْ هَوَتِ الْأَفْلَاكُ مِن
جَوَانِبَ الْجَوِّ عَلَيْهِ مَا شَكَا[1]

ماعليه من اللحم . والمدى : السكاكين واحدتها مدية . يقول إنه مع ما وصلت إليه حاله لا يذل ولا يلين ولا يخضع .

(١) مارست : التاء مفعول يعنى نفسه وهو من الممارسة وهى المعالجة أى عالجت وقيل خالطت أو قاسيت . وهوت : سقطت ، يقول : لو سقطت عليه الأفلاك بالشدائد والمصائب ماشكا ذلك إلى أحد . والأفلاك : جمع فلك بالتحريك وهو مدار النجوم وفلك كل شيء مستداره ومعظمه و يقول المنجمون إنه سبعة أطواق دون السماء قد ركبت فيها النجوم والكواكب السبعة فى كل طرق منها نجم وبعضها أرفع من بعض تدور فيها . والجو : الهواء الذى بين السماء والأرض . يقول إنك يادهر فى قسوتك هذه كمن يمارس شخصا قويا شديد الاحتمال صبورا على الشدة لا يعبأ بالمصائب تلوها المصائب ، ولو أن السموات بأفلاكها وأجرامها هبطت عليه وهوت من كل جانب ماشكا ولا ذل . قال أبو على القالى تلميذ أبى بكر ابن دريد حين عرض لابن دريد فى آخر عمره فالج فسقى الترياق فبرىء منه وصح وعاد كما كان إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ثم بعد حول تناول غذاء ضارا فعاوده الفالج فكان يحرك يديه حركة ضعيفة وبطل من محزمه إلى قدميه فكان إذا دخل عليه داخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل اليه ـ قال أبو على : فكنت أقول فى نفسى إن الله عاقبه بقوله فى المقصورة :

(مارست من لو هوت الأفلاك . . . البيت)

وكان يصيح لذلك صياح من يمشى عليه أو يسل المسال يسمعه الداخل هو بعيد عنه ؛ وكان مع هذه الحال ثابت الذهن كامل العقل يرد فيما يسمعه ويسأل عنه ردا صحيحا .

لَـكِنَّهَا نَفثَةُ مَصْدُورٍ إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيهَا غَمَا[1]

رَضِيتُ قَسْرًا وَعَلَى الْقَسْرِ رِضَى

مَنْ كَانَ ذَا سَخْطٍ عَلَى صَرْفِ الْقَضَا[2]

أقول : يغفر الله لأبى على فقد أساء الظن بالله وشنع على شيخه وأستاذه بغير حق ؛ فان بين مرض ابن دريد بالفالج واتصاله بابن ميكال الذين قيلت فيهما المقصورة أكثر من اثنتين وعشرين سنة فقد اتصل بهما قبل سنة ٢٩٧ هـ التى صنف فيها الجمهرة للميكالى ومات سنة ٣٢١ هـ التى فلج قبلها بعامين . ومتى كان المرض بالفالج أو بأشد منه بل بالموت انتقاما وعقوبة وماذا كان يرجو أبو على لشيخه وقد علت سنه على التسعين غير أن يموت أم أن صاحب أعرافها لأبدينا مناديل يكبر على شيخه الاوحد صياحه ويعده شكاية ثم عقابا! ؟

(١) لكنها : الهاء والألف كناية عن هذه والقصيدة التى قالها ؛ والنفثة : ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق يقال نفثت الحية تنفث نفثة ونفثا إذا ألقت ريقها ؛ وذلك الريق سم قاتل . والمصدور : الذى يشتكى صدره ومنه المثل لابد للمصدور أن ينفث . وجاش : علا وارتفع ، يقال : جاشت اليه نفسه أى ارتفعت وقيل جاش اجتمع ، وكذلك جاشت النفس اجتمعت والأول أصح قال الشاعر :

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

واللغام : الزبد وهو ما يلقيه البعير من فيه ، يقال لغم البعير يلغم لغامة إذا رمى باللغام : وهو الزبد والملغم الفم ، ومنه تلغمت بالطيب إذا جعلته فى ملاغمك والملاغم ما حول الفم ، وهى جمع ملغم ؛ ويقال لغمت الشىء ألغمه لغما إذا خلطته فالتغم أى اختلط . وقوله من نواحيها : أى من جوانبها . وغما : بالغين المعجمة سقط يقال غما البعير الزبد إذا رماه بنفض رأسه ومشفره يتناثر من فيه ؛ ويقال إن غما معناه غطا من قولهم غميت الإناء إذا غطيته .

(٢) القسر : القهر على المكروه يقال قسره على كذا أى قهره عليه . والسخط

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوْلَيَا عَلَى جَدِيدٍ أَدْنِيَاهُ لِلْبِلَى (١)

الغضب . يقول : إننى رضيت مرغما لأن من يرض بالقضاء وسخطه رضى به مكرها إلزاما ولجوءا لأنه لا سبيل له إلى غير ذلك .

(١) الجديدان : الليل والنهار . وكذا الأجدان . والعصران . والملوان . قال الشاعر :

ألا ياديار الحى بالسبعان أمل عليها بالبلى الملوان

السبعان بضم الباء موضع ببلاد قيس

والأسودان التمر والماء . والأسودان أيضا الليل والحرة . والأبيضان اللبن والماء . والخبز والماء أيضا قال الشاعر :

الأبيضان أبردا عظامى الماء والخبز بلا إدام

والأصفران : الذهب والزعفران . والأحمران : اللحم والخمر . والأطيبان النوم والنكاح . والصحة والشباب . والأعذبان : الريق والخمر . والحجران : الذهب والفضة . والأزهران : الشمس والقمر . والقمران أيضا : الشمس والقمر . والخافقان المشرق والمغرب . والثقلان . الانس والجن . ومثل هذا كثير . ولابن جنى كتاب اسمه جنى الجنتين معرفة المثنيين (نشرته مكتبة القدسى) ومذهب العرب فى هذا الضرب من الكلام إذا كان الشيئان يتواخيان ينسب الانكر منهما إلى الاشهر كقولهم العمران فى أبى بكر وعمر فنسبوا أبا بكر إلى عمر لانه أقام فى الناس أكثر من أبى بكر يعنى أن مدة خلافته دامت أكثر مما دامت خلافة أبى بكر لأن أبا بكر كانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسع ليال . وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال - فلذلك صار عمر أشهر من أبى بكر . وقال بعض النحويين : إنما يغلب هنا الاخف على الاثقل كقولهم القمران للشمس والقمر فغلبوا القمر لانه مذكر والمذكر أخف من المؤنث كما أن المفرد أخف من المضاف . ولهذا غلبوا عمر على أبى بكر لان عمر غير مضاف وأبو بكر اسم

مَا كُنْتُ أَدْرِي وَالزَّمَانُ مُوَعٌ بِشَتٍّ مَلُومٍ وَتَنْكِيثِ قُوَى (١)
أَنَّ الْقَضَاءَ قَاذِفِي فِي هُوَّةٍ لَا تَسْتَبِلُّ نَفْسُ مَنْ فِيهَا هَوَى (٢)

مضاف ويستثقل أن يقال الآبا بكران . واستوليا : يعنى غلبا وملكا . ويجوز أن يكون الأستوليا تبعا ولزوما من قولهم ولى فلان عمله إذا تبعه ولزمه . وأتى على بناء استفعل . وأدنياه : قرباه . والبلى : الإخلاق . يقال ثوب بال وخلق ودارس، والبلا يمد ويقصر فاذا كسرت أوله قصرته كما قال الشاعر

ألا يادیار الحی بالسبعان أمل عليها بالبلى الملون

وإذا فتحت أوله مددته كما قال الآخر :

والمرء يبليه بلا السربال مر الليالى وانتقال الحال

والملوان الليل والنهار أو طرفاهما وهو هنا يعزى نفسه ويسليها بأنه مغلوب مقهور وأن كر العصور يبلى الاجسام ويذهب جدتها. ومعناه كالبيت قبله :

إذاذوى الغصن الرطيب فاعلن أن قصاراه نفاد وتوى

(١) ما كنت أدرى : أى ما كنت أعلم ثم حال بين أدرى . وما عملت فيه يحشو هذا البيت وجاء بالمفعول فيه فى البيت الذى بعده وهو قوله أن القضاء الخ . وأن إذا وقعت فى باب الظن كفت من المفعولين تقول : ماظننت زيدا عاقلا وما ظننت أن زيدا عاقل . فزيد فى المسألة الاولى مفعول اول لظن وعاقلا مفعول ثان . وفى المسألة الثانية كفت أن من المفعولين . وعاقل خبر أن . وقوله والزمان موالع : أى ملازم ومغرى به يقال أولعت بكذا إذا لزمته والشت : التشتيت والتفريق . والملوم : المجموع من قولهم لمه يلمه إذا جمعه . والتنكيث : النقض مأخوذ من قولهم نكث العهد إذا نقضه . والقوى جمع قوة وهى احدى قوى العهد أى طاقاته ومن هذا أخذت القوة يصف الدهر وأحداثه وأنها غرام وولع بتفريق المجتمع وتشتيته وإضعاف القوة ووهنها

(٢) القضاء : الحكم . والمراد به أحكام الله سبحانه وتعالى على عباده . بالغير والاحداث كأن النعمة الضافية التى كان فيها قد ألهته وصرفته عن التفكير

فَإِنْ عَثَرْتُ بَعْدَهَا وَإِنْ وَأَلَتْ نَفْسِيَ مِنْ هَاتَا فَقُولَا لَالَعَا[1]

فى زوالها أو تغيرها . وقاذفى : القاذف الزامى ، يقذفه فى بئر إذا رماه فيها والهوة : الحفرة يتسع أسفلها ويضيق أعلاما . وقوله لا تستبل : أى لا تبرأ ولا تفيق ، يقال بل من مرضه وأبل واستبل إذا برئ . وهوى : سقط من فوق الى أسفل يقال هوى يهوى هويا قال الشاعر :

فشج بها الأماعز فهى تهوى هوى الدلو أسلمها الرشاء

يقول : ما كنت أدرى أن عاقبة أمرى وحالى ستبلغنى الى ماأرى وترمينى فى هوة سحيقة لا نجاة لمن وقع فيها ولا خلاص معأن ذلك طبيعة فى الزمان فما كان ينبغى لى أن أجهل ذلك وأصرف عنه ولا عمل له حسابا

العثر : الزلل . ومعنى وألت نجت وخلصت ، يقال وأل فلان من كذا يئل وألا إذا خلص منه ونجا ، والموئل مفعل وهو الملجأ . يقال هذا موئل فلان أى ملجؤه ومفزعه الذى يفزع اليهأى يلجأاليه قال الله جل ذكره : (بل لهم موعد لن يجدوامن دونه موئلا) أى ملجأ ومفزعا . وأما آل فلان إلى كذا بالمد فمعناه رجع يقال آل الأمر الى كذا يؤول أو لامثل قال يقول فولا وقوله هاتا : إشارة الى مؤنث بمنزلة هذا للمذكر لأنه عائد على العثرة المضمرة التى دل عليها قوله : وإن عثرت وتقديره إن عثرت عثرة بعدها ثم وألت نفسى من هذه العثرة ، وإن شئت كان الضمير عائدا على الهوة فى البيت الذى قبل هذا . والهوة : الحفرةوجمعها هوى ، وهاتا بمعنى هذه تقول العرب هاتا فعلت كذا وللمذكر هذا . وقوله لالعا : أى لا نجاة ولا خلاص ولعا دعاء للعاثر بالسلامة إذاجئت به دون لا فان أتيتمعه بلا فمعناه لاسلامة يقول : أما وقد علمت الزمان وبلوت الدهر أبا الاعاجيب فانى ان أنج من هذه العثرة فلا كونن حذرا فان عثرت ياصاحبى مرة أخرى فقولا لى لا نجوت أبدا

وإِنْ تَكُنْ مُدَّتُهَا مَوْصُولَةً بِالْحَتْفِ سَلَّطتُ الْأَسَى عَلَى الْأَسَى (١)
إِنَّ امْرَأَ القَيْسِ جَرَى إِلَى مَدَى فَاعْتَاقَهُ حِمَامُهُ دُونَ المَدَا (٢)

---

(١) إن تكن مدتها : الهاء فى مدتها عائدة على النكبة . والحتف الموت وجمعه حتوف . والأسى : بضم الهمزة جمع أسوة أى تعزية . قال الشاعر

ولقد علمت وان ضربت لى الأسى أن الرزيئة يوم قتل دؤاد وأى التعزى الأسى بفتح الهمزة أى الحزن .

يقول : إن لم يكتب الله لى سلامه من هذه العثرة، واتصلت بموتى فسأتعزى عن حزنى ومصائبى بما أصاب الناس قبلى من ضروب البلاء والمحن .

وكأنه رحمه الله ما كان يرجو فرجا فعمد إلى ذكر جماعة من المشهورين عدا عليهم الدهر وحال دون بلوغ أمانيهم واتصلت مصيبتهم كما يقول بحتفهم .

(٢) إن امرأ القيس جرى الى مدى : أى الى غاية ، واعتاقه حمامه : أى منعه يقال اعتاقه وعاقه بمعنى واحد . والحمام بالكسر الموت مأخوذ من قولهم حم الأمر أى قرب

وامرؤ القيس : اسمه حندج بن حجر بن عمرو المقصور وسمى بذلك لأنه اقتصر على ملك أبيه ابن حجر الاكبر وهو آكل المرار بن عمرو بن معاوية ابن كندة ، والحندج فى اللغة : رملة طيبة تنبت ألوانا من الزهر ، وأمه فاطمة وقيل تملك بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب ومهلهل . وكنية امرىء القيس أبو وهب وأبو الحرث ويلقب ذا القروح لقوله :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

ويقال له الملك الضليل ، ومعنى امرىء القيس رجل الشدة . والقيس فى اللغة الشدة . وقيل القيس اسم صنم ولهذا كان الاصمعى يكره أن يروى قوله يا امرأ القيس فانزل . وكان يرويه يا امرأ الله . وهو الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه (أشعرهم قائدهم الى النار) يعنى شعراء الجاهلية والمشركين .

ويروى (يتدهده فى النار) قال دعبل لا يقود قوما إلا أميرهم . وقال عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب وقد سأله عن الشعراء : أشعرهم امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر .

خسف : هو من الخسيف وهى البئر التى حفرت فى حجارة فخرج منها ماء كثير وجمعها خسف . وافتقر هو من الفقير وهو فم القناة . عن معان عور يريد أن امرأ القيس من اليمن واليمن لم تكن لهم فصاحة نزار فجعل لهم معانى عورا فتح منها امرؤ القيس أصح بصر .

قالوا وامرؤ القيس يمانى النسب إلا أن داره ونشأته فى نزار ، وهو أول من لطف المعانى ، واستوقف على الطلول ، وشبه النساء بالظباء والمها والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد وقرب مآخذ الكلام وقيد الأرابد وأجاد الاستعارة والتشبيه .

وكان من حديثه : أن أباه طرده لما قال الشعر يشيب بامرأة أبيه وهى أم الحويرث التى كان امرؤ القيس يذكرها فى شعره فكان يتنقل فى أحياء العرب ويستتبع الصعاليك والذؤبان منهم ويغير بهم على القبائل . وكان أبوه ملك بنى أسد فعسفهم عسفا شديدا فتمالؤا على قتله فقتلوه فلما بلغ امرأ القيس مقتله وهو يشرب الخمر قال ضيعنى صغيرا وحملنى ثقل الثأر كبيرا . اليوم خمر وغدا أمر ، فأرسلت مثلا . ثم جمع جمعا من بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب فخرج بهم يريد بنى أسد فخبرهم كاهنهم بخروجه اليهم فارتحلوا وبينهم امرؤ القيس فوقع ببنى كنانة فقتلهم قتلا ذريعا . وأقبل أصحابه يقولون يا لثارات الهمام يا لثارات الهمام ، فقالت عجوز منهم واللات أيها الملك ما نحن بثأرك وإنما ثأرك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع عنهم القتل وانشأ يقول :

ألا يا لهف قلبى من اناس ... هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببنى على ... وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا ... ولو أدركنه صفر الوطاب

له ببنى على : يريد بنى كنانة نسبوا إلى على بن مسعود الغسانى وكان تزوج

امهم بعد أبيهم وربوا فى حجره فنسبوا اليـه . ثم ان أصحاب امرىء القيس اختلفوا وقالوا وقعت بقوم براء وظلمتهم فخرج إلى اليمن الى بعض مقاولة حمير وكان اسمه قرمل فاستجاشه فثبطه قرمل فـذلك حيث يقول

وكنا اناسا قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجداً كبراً كبراً

ثم توجـــه إلى قيصر ملك الروم ، وجعل طريقه على تيماء ـــ حصن السموأل بن عاديا ـــ فأودعه درعا وسلاحا وكان قـــدمشى معه صاحب يقال له عمرو بن قمئة الشاعر . فلمـا رأى عمرو بن قميئة الدرب ـــ وهو حاجز بين بلاد العرب وبلاد العجم ـــ بكى جزعا لفراقه بلاد العرب ودخول بلاد العجم فى ذلك قال امرؤ القيس :

كى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

ثم سار حتى وصل إلى قيصر فى ملكه . فاستأذن عليـه فأذن له . فلما دخل عليه قرب مجلسه وأدنى مكانه ، واتخذه نديما وجمله وخلع عليه وأحسن اليه ثم استعان به فوعده أن يرفـــده بجيش ، وكان امرؤ القيس جميل الوجه وكان لقيصر ابنة حسنة جميلة فأشرفت يوما من قصر لها فرآها امرؤ القيس فى دخوله إلى أبيها فتعلق بقلبه حبها وأرسلها فأرسلت اليه فسار اليها فطرقها ليلا فـذلك حيث يقول :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وقيل إن أباها زوجه إياها وكان سبقه إلى قيصر رجل من أعدائه من بنى أسد يقال له الطماح فوشى به الى قيصر فتذمم أن يقتله ، فوجه معه جيشا ثم أتبعه رجلا ومعه حلة مسمومة . وقال له اقرأ عليه السلام وقل له ان الملك قد بعث اليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها وأدخله الحمام فاذا خرج ألبسه اياها فلما لبسها نفط بدنه فكان يحمل فى محفة فذلك حيث يقول :

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا
وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

وَخَامَرَت نَفْسُ أَبِي الجَبْرِ الجَوَى
حَتَّى حَوَاهُ الحَتْفُ فِيمَنْ قَدْ حَوَى (١)

ثم نزل إلى جانب جبل وإلى جانبه قبر لابنة بعض ملوك الروم وكان اسم ذلك الجبل عسيبا فأنشأ يقول :

أجارتنا ان الخطوب تنوب وانى مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينى تسعدى بمودتى وان تقطعينى فالمزار عصيب
أجارتنا ما فات ليس يؤوب وما هو آت فى الزمان قريب
وليس غريبا من تناءت دياره ولكن من وارى التراب غريب

فلما أيقن بالموت قال :

رب طعنة مسحنفره وجفنة مسعنجره
قد غودرت بأنقره

المسعنجرة : السائلة المنتصبة . والمسحنفرة : الماضية . وأنقرة بلد بالترك يرثى بهذا نفسه يقول : كم من خصلة جليلة تجمعت قد تركت فى هذا الموضع الذى دفن فيه . فتضمنها قبره ، وأسلمته أحبته ثم مات فهناك قبره وهذه القصة لا تخلو من انتحال . وابن دريد يتأسى بامرىء القيس ، ويقول : انه وهو سليل الملوك العظماء رام أن يدرك مراما وقصدا ويثأر لأبيه ويرث ملكه فحالت الاقدار دون بلوغ ما رامه وعاقته المنية عن نيل مآربه

(١) خامرت : خالطت ، ومنه سميت الخمرة لمخالطتها العقل وتغطيتها عليه . والجوى : مقصور مفتوح داء فى الجوف . وقيل الجوى . تأثير الحزن فى الجوف ، يقال من ذلك جوى يجوى جوى ، والجوى مكسور وممدود . اسم أرض قال الشاعر :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالخساء

وَابنُ الأَشَجِّ القَيْلُ سَاقَ نَفسَهُ إِلَى الرَّدَى حِذَارَ إِشْمَاتِ العِدَى (١)

ويقال الجواء هنا : جمع جوء هو البطن من الأرض . وقوله حواه : أى حازه . والحتف . الموت وجمعه حتوف

وأبو الجبر : هو ابن عمرو الكندى من ملوكهم ، خرج إلى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه جيشا من الاساورة ، فلما صاروا بكاظمة نظروا إلى وحشة بلاد العرب فقالوا أين تذهب مع هذا فعمدوا إلى سم فدفعوه إلى طباخه ووعده بالإحسان إليه وأمروه أن يلقيه فى أحب الألوان إليه وأكرمها عليه ففعل فلما استقر فى جوفه اشتد وجعه فدخلوا عليه وقالوا قد بلغت إلى هذه الحال فاكتب لنا إلى الملك أنك قد أذنت لنا . فلما كتب لهم ورجعوا خف ما به فرحل إلى الطائف إلى الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب فداواه فبرىء ، فأهدى إليه سمية وهى أم زياد وعبيد وهو الذى كان زياد ينسب إليه أولا . وارتحل يريد اليمن فانتقضت علته فمات فى الطريق فقالت عمته كبشة ترثيه :

ليت شعرى وقد شعرت أبا الجب ر بما قد لقيت فى الترحال
أتمطت بك الركاب أبيت الـ لعن حتى حللت بالأقتال
أشجاع فأنت أشجع من ليـ ث هموس السرى أبى الاشبال
أجواد فأنت أجود من سيـ ل تداعى من مسيل هطال
أكريم فأنت أكرم من ضمـ ت حصان ومن مشى فى النعال
أنت خير من ألف ألف من القـ وم إذا ما كفهرت وجوه الرجال

تمطت فى السير امتدت ، والأقتال الاعداء ، والهموس الخفى الوطء .

(١) العدى : والعدا ، والعداة ، والاعداء واحد ؛ والعدى أيضا مكسور مقصور الغرباء ويكتب بالياء قال الشاعر :

إذا كنت فى قوم عدى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب

وأما العدا بالكسر والمد : فالموالاة بين الشيئين ، وهى المتابعة ، قال الشاعر

فعادى عداء بين تيس ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

والقيل : الملك دون الملك الأعظم أومن ملوك حمير وجمعه أقيال ومقاولة ومقاولات وأقوال . وساق نفسه الى الردى : أى الهلاك يقال من ذلك ردى يردى ردى اذا هلك قال الله تعالى (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) . واشمات العدى : تشفيهم وفرحهم بما يغيظه ويؤلمه . وهو وان كان قتل نفسه فقد أشمتهم فيه ، ولكن حسبه أن لم يمكنهم من التنكيل به وتعذيبه لو وقع فى أيدى أعدائه .

وكان من حديث عبد الرحمن بن الاشعب أن الحجاج استعمله على سجستان وما اتصل بها فحارب من هناك من أمم الترك والهند ثم خلع طاعة الحجاج وسار الى بلاد كرمان فثنى بخلع عبد الملك وانقاد لطاعته أهل الرى والجبال مما يلى الكوفة والبصرة واتبعه قراء العراق وعلماؤهم كسعيد بن جبير والشعبى فسار الحجاج لقتاله فكانت بينهما حروب عظيمة وكتب عبد الملك الى الحجاج يقول : لعمرى لقد خلع طاعة الله بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين وإنى لأرجو أن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم فى ذلك على يدى أمير المؤمنين وما حاله عندى فى خلع الطاعة إلا كقول الشاعر :

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

أظن خطوب الدهر بينى وبينهم ستحملهم منى على مركب وعر

ودخل ابن الاشعث الكوفة وكتب الحجاج إلى عبد الملك يذكر كثرة جيوش بن الاشعث ويستنجده ويسأله الامداد. ويقول فى كتابه : واغوثاه واغوثاه اغوثاه ، فأمده عبد الملك بالجيوش وكتب اليه يالبيك يالبيك يالبيك . كانت بين ابن الاشعث والحجاج نيف وثمانون وقعة قتى منها عدد من الخلق : كان ذلك فى سنة ٨٢ هـ فكانت على ابن الاشعث فمضى إلى ملوك الهند واحتال الحجاج وبذلك الأموال العظيمة حتى وجه به للحجاج أحد ملوكها فلما سارت أرسل الحجاج به باتوا على سطح مرتفع وكان قد قرن الى رجل من بنى تميم بسلسلة فى أيديهما وكان التميمى معه أسيرا ، فلما كان جنح الليل قال للتميمى

قم معى لأبول . فلما قام معه أشرف من السطح ولف عليه ثوبه وجمع ثيابه فقال له التميمى : ما تصنع أيها الأمير قال الساعة أعلمك . ثم رمى بنفسه فوقع هو والتميمى فماتا جميعا ، وحمل رأسه الى الحجاج . فوجه الحجاج برأسه الى عبد الملك مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدى

وروى أن صاحب اليمن كتب الى عبد الملك إنى قد وجهت الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لم يرى مثلها فلما دخل بها رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا فألقى اليها قضيبا كان فى يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الاذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحير الجارية فأعطاه كتاب عبد الرحمن :

سائل مجاور جرم هل جنيت لها ... حربا تزيل بين الجيزة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب ... جم الصوارم بين الجم والفرط
وهل تركت نساء الحى ضاحية ... فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط
وتحته : والنمر من ولد الأراقم ماجد ... ضلت الجبين معاود الأقدام
خلع الملوك وصار تحت لوائه ... شجر الرى وعراعر الأفوام

فكتب عبد الملك الى الحجاج : يكفيك ما أوصى به البكرى أخاه زيد وجعل فى طيه جوابا لابن الاشعث فيه :

ما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظا وينوى من سفاهته كسرى
أظن خطوب الدهر بينى وبينه ... ستحملهم منى على مركب وعر
وإنى وإياهم كمن نبه القطا ... ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى
أناة وحلماً وانتظاراً بهم غدا ... فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

وبات عبد الملك يقلب كف الجارية ويقول ما أفدت فائدة أحب الى منك فتقول ما بالك يا أمير المؤمنين وما يمنعك ؟ فيقول ماقاله الأخطل لأنى خرجت منه كنت ألام العرب

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

فما اليك من سبيل أو يحكم الله بينى وبين عدوى ابن الأشعث فلم يقربها حتى

وَاخْتَرَمَ الْوَضَّاحَ مِنْ دُونِ الَّتِى أَمَّلَهَا سَيْفُ الْحِمَامِ الْمُنْتَضَى (١)

قتل ابن الاشعث

الجم والفرط : موضعان . ويستوقدون بالغبط : الغبط مراكب النساء. وللياس من الرحيل أحرقن مراكبهن أو لخوفهن من الاحتطاب أحرقنها والشعر الذى تمثل به عبد الرحمن خلع الملوك لمهلهل . ويروى قتل الملوك اما البكرى فهو موسى بن جابر الحنفى . ويقال إن الحجاج لم يدر ما عناه عبد الملك فنادى مناديه من يعرف ما أوصى به البكرى أخاه زيدا قضيت حوائجه . فقال أعرابى ببابه أنا أعرف ذلك فأدخل على الحجاج فأنشده :

فقلت لزيد لاتثرثر فانهم يرون المنايادون قتلك أو قتلى
فان وضعوا حربا فضعها وإن أبوا فشب وقود النار بالحطب الجزل
فان رفعوا الحرب العوان التى ترى فرضة نار الحرب مثلك أو مثلى

فقال الحجاج : وأبيك انها لهى .

فهذا معنى قوله ساق نفسه إلى الردى . حذار إشمات العدى

(١) الاحترام : الهلاك يقال اخترمته المنية أخذته والقوم استأصلتهم اقتطعتهم والخرم النقص . ومنه الخرم فى الشعر وهو ذهاب الفاء من فعولن أو الميم من مفاعلن . والحمام : الموت . والمنتضى : المسلول من قولهم : تنضيت السيف أنتضيه انتضاء إذا أخرجته من غمده . واسم الفاعل منتض . واسم المفعول منتضى . وتعال سيف منتضى أى مجرد .

وكان من حديث الوضاح واسمه جذيمة الأبرش وهو ابن مالك بن فهم بن الأسد بن الأزد بن القوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وقال السائب بن الكلبي : إن جذيمة من العرب الأولى بن بنى إياد بن أيم وكان فى أيام الطوائف . وقال أبو عبيد : كان جذيمة بعد عيسى عليه السلام بثلاثين سنة وكان قد ملك شاطىء الفرات إلى ما وراء ذلك لسواد ستين سنة وكان يكنى بأبى مالك . وكان الملك قبل جذيمة أباه وهو

أول من ملك الحيرة كان أبرص . فهابت العرب أن تقول أبرص فقالت الأبرش والوضاح . وقيل سمى الأبرش لأنه أصابه حرق نار فبقى أثره نقطا سوداء وحمراء وقصير هو ابن سعد اللخمى وكان من حديثهما أن جذيمة وكان فى أيام ملوك الطوائف قد ملك شطى الفرات إلى ضراة وكان قد قتل أبا لزباء وغلب على ملكها . وألجأ الزباء الى أطراف مملكتها وكان بغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما فى أيديهم

وكانت الزباء ملكة أديبة عاقلة فبعثت اليه تخطبه على نفسها ليتصل ملكها بملكه . فدعته نفسه الى ذلك فشاور وزراءه فى ذلك فكلهم اشار عليه أن يفعل الا قصير بن سعد فانه قال : أيها الملك لا تفعل فان هذا خديعة ومكر . فعصاه وأجابها الى ذلك فقال قصير عند ذلك : — لا يطاع لقصير أمر وقيل رأى . فأخرجها مثلا . ثم كتبت اليه بعد ذلك أن سر الى ه فجمع أصحابه يبقه وهى قرية على الفرات . وشاور وزراءه فأشاروا عليه بالخروج الا قصيرا فقال : أيها الملك أما اذ عصيتنى فاذا رأيت جندها قد أقبلوا اليك فان ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظنى . وان رأيتهم اذا حيوك طافوا بك قال معرض لك العصا — وهى فرس لجذيمة لاتدرك — فاركبها وانج بنفسك . فلما أقبل جيشها حيوء وطافو به فقرب اليه قصير العصا فشل عنها فركبها قصير وأخذ جذيمة فنظر الى قصير على العصا . وقد حال السراب دونه . فقال : — ماضل من تجرى به العصا — فأخرجها مثلا وأدخل جذيمة على الزباء وكانت وفرت شعر عانتها حولا . فلما دخل انكشفت له . وقالت أمتاع عروس ترى ياجذيمة ؟ قال بل متاع أمة براء قالت أما انه ليس من عوز المواسى . ولا قلة الأواسى . ولكنها شيمة من أناسى ! وأمرت به فأجلس على قطع وجىء بطست من ذهب فقطعت راهشيه . وفى ذلك قال الشاعر :

وقدمت الأديم لراهشيه وألفى قوله كذبا ومينا

وكان قد قيل لها احتفظى بدمه . فانه اذا أصابت الأرض منه قطرة أخذ بثاره

فَقَدْ سَمَا قَبْلِى يَزِيدٌ طَالِبًا شَأْوَ الْعُلَا فَمَا وَهِىَ وَلَا وَنَى (١)
فَاعْتَرَضَتْ دُونَ الَّذِى رَامَ وَقَدْ جَدَّ بِهِ الْجِدُّ اللُّهَيْمُ الْأَرْبَى (٢)

فقطرت قطرة من دمه على الأرض . فقالت لا تضيعوا الملك . فقال جذيمة . دعوا دما ضيعه أهله فأرسلهم مثلاومات وقبل انه هوالذى بعث اليها يخطبها . فكتبت اليه إنى فاعلة ومثلك يرغب فيه فاذا شئت فاشخص الى فجمع عندذلك جذيمة وزراءه واستشارهم كما تقدم .

(١) سما . علا والشأو . الغاية وقيل الشأو . البعد . والشأو . طلق الفرس بقال جرى الفرس شأوا أو شأوين . والعلا . الشرف . وماوهى أى ما ضعف . وقيل وهى . انصدع . يقال وهى يهى وهيا . وأصل الوهى الشق . قال الله عزوجل (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) ولاونى . أى ولا فتر . قال الله عز وجل . (ولاتنيا ذكرى) أى ولاتفترا . وتصريفه ونى ينى ونيا واسم الفاعل . وان . يقول لى بيزايد وهو ابن المهلب أسوة فقد سمت همته الى طلب الخلافة وانتزاعها من بنى أمية ولم تضعف عزيمته ولم تهن قوته حتى كاد أن يتم له ذلك ويال الخلافة

وكان من حديث يزيد بن المهلب بن أبى صفرة أنه خرج على بنى أمية وخطب له بالبصرة وسلمت عليه جارية من حواريه بالخلافة والعباس بن الوليد بن عبد الملك بازائه فقال لها :

رويدك حتى تنظرى عم تنجلى غباية هـذا العارض المتألق

فدست اليه أمية رجلا من كلب يقال له القحل او ابن القحل وكان ذا بأس شديد واقدام فقتله فى بعض خلواته . فقال شاعر من كلب فى ذلك

قتلنا يزيد بن المهلب بعد ما تمنيتم أن يغلب الحق باطله
وما كان فى أهل العراق منافق عن الدين الا من قضاعة قاتله

ثم صفا الأمر لبنى أمية .

(٢) فاعترضت . أى بدت . وقيل معناه عارضت وفيه تقديم وتأخير . أى

هَلْ أَنَا بِدْعٌ مِنْ عَرَانِينَ عُلَا ... جَارَ عَلَيْهِمْ صَرْفُ دَهْرٍ وَاعْتَدَى (١)

فَإِنْ أَنَالَتْنِى الْمَقَادِيرُ الَّذِى ... أَكِيدُهُ لَمْ آلُ فِى رَأْبِ الثَّأَى (٢)

وَقَدْ سَمَا عَمْرٌو إِلَى أَوْتَارِهِ ... فَاحْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِى الْمُسْتَمَى (٣)

فاعترضت اللهيم الأربى دون الذى رام . ومعنى رام . طلب . وجد . حث وأسرع . وجد . اجتهد . وجد أيضا فى غير هـــذا الموضع . قطع . واللهيم الأربى . اسمان من أسماء الداهية وأصل الداهية الشدة . ويقال لها أم اللئيم . والجد . العزم . والجد أيضا . الحق . يقول . إن الدواهى والبلايا اعترضت يزيد وحالت دون الوصول إلى ماتمناه رغم جده واجتهاده ومواتاة الحظ له أول الأمر فلى فيه أسوة أو عزاء لما أصابنى

(١) البدع . الذى يكون أولا فى كل أمر قال الله عز وجل (قل ما كنت جدعا من الرسل) أى لت بأول مرسل . والعرانين . الأشراف واحدهم عرنين والعرنين الأنف وإنما سمى الشريف عرنينا لأنه كالعرنين فى الوجه وهو أرفع مايكون . وجار . عدل عن الحق أى مال عنه . وصروف الدهر . احداثه ونوائبه . واعدى . من العدوان ظلم . يقول لست نمطا من الناس وحدى ولا أمة ولا بدعة حتى أنجو من صروف الاقدار التى تعرض لها أشراف الناس ومال عليهم الزمن بعادياته

(٢) فان أنالتنى . أى أعطينى . والمقادير . جمع مقدار وهو القدر واكيده . أطلبه . واحتال عليه . لم آل . لم أقصر . رأب اصلاح من قولهم رأبت الشىء أربه رأبا والثأى الفساد ومعناه لم أقصر فى إصـــلاح ما فسد من حالى إذا قدر لى بلوغ ما أرجوه واحتال له وهكذا الإنسان مولع أبدا بالآمال .

(٣) سما علا والأوتار جمع وتر وهو طلب الدم واحتط منها أى أنزل والمستمى المكان العالى المرتفع وهو مفتعل من سما إذا ارتفع وزيدت

فاستنزل الزباء قسرا وهى من عقاب لوح الجو أعلى منتمى (١)

التاء فيه لبناء افتعل كما زيدت فى استحباب يقول . ان عمرو بن عدى اللخمى نال أمانيه وأدرك ثأره من الزباء واستنزلها من مقاقلها المنيعة

(١) الزباء . اسم ملكة تدمر والقسر بالسين القهر والغلبة ؛ والعقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان . واللوح الهواء الذى بين السماء والأرض واللوح أيضا العطش بضم اللام فيهما والجو أيضا ما بين السماء والأرض ومنتمى أى موضع مرتفع اليه وهو مفتعل لأنه اسم مفعول من نميت الشىء إذا رفعته واسم الفاعل منتم وفى هذا البيت تقديم وتأخير تقديره فاستنزل الزباء قسرا وهى أعلى منتمى من عقاب لوح الجو أى فى منعتها أكثر امتناعا من العقاب الذى فى الجو

وأما عمرو فهو بن عدى نصر بن ربيعة بن الحارث وكان ابن أخت جذيمة الأبرش وكان من حديثه ان الزباء لما قتلت خاله جذيمة كما أسلفنا ونجا قصير بن سعد القضاعى على العصا سار الى عمرو وقال ألا تطلب بثأر خالك وقال وكيف أقدر على للزباء وهى أمنع من عقاب الجو فأرسلها مثلا فقال له قصير اجدع أنفى وأذنى واضرب ظهرى حتى تؤثر فيه ودعنى وإياها فألحق بها وأقول قد فعل بى عمرو ما ترين من أجل أنه اتهمنى فى أمر خاله ففعل به ذلك فلما سار اليها ورأت ما به قالت لأمر ما جدع قصير أنفه فأرسلها مثلا ثم أخبرها بذلك وقال لها قد لقيت هذا من أجلك فقالت وكيف كان ذلك ؟ قال زعم أنى أشرت على خاله بالخروج اليك حتى فعلت به ما فعلت فوعدته من نفسها بالاحسان فأحسن خدمتها وأظهر النصيحة لها حتى حسنت منزلته عندها وزين لها التجارة والأسفار فبعثت معه مالا وإبلا الى العراق فسار قصير إلى عمر مستخفيا فأخذ منه مالا وزاده على مالها فاشترى طرائف من طرائف أهل العراق ورجع اليها فأراها تلك الأرباح فسرت ثم كركرة فأضعف لها المال حتى عجبت من فعله وازدادت

به غبطة وسرورا . فلما كان فى المرة الثالثة اتخذ جوالق كجوالق المال، وجعل ربطها من أسافلها الى داخل وأدخل فى كل جوالق رجلا بسلاحه . وأقبل اليها وأخذ غير الطريق فكان يسير الليل ويكمن النهار وأخذ عمراً معه وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا وكانت قد اتخذت نفقا أجرت اليه الماء من قصرها إلى قصر أختها زنيبة (مصغر زينب) وكان قد بعد عنها خبر قصير فسألت عنه فقيل لها أخذ الغوير وهو موضع فقالت . عسى الغوير أبؤسا . فأرسلتها مثلا قال ابن الكلبى والغوير ماء لبنى كلب ودخل قصير على الزباء وقد تقدم العير فقال لها قفى فانظرى إلى العير فرئيت سطحا لها فجعلت تنظر الى العير مقبلة تحمل الرجال تمشى قليلا فأنكرت ذلك المشى وقالت .

ما للجمال مشيها وئيدا أجند لا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا

ويروى . بل الرجال قبضا قعودا ؛ فانتهوا إلى حصنها . وقد أظلم الليل وشغلت بشىء ولم ترتب حاجبا على الباب . وكان عمرو قد وصف له قصير باب النفق . ووصف له الزباء فلما دخلت العير المدينة . وعلى البواب البوابون من النبط . ومنهم واحد فى يده مخصرة . وهو سفود . قطع جوالفا منها بالمخصرة فأصابت رجلا فضرط فصار البواب بالنبطة بشتابشتا . وتفسيره بالعربية الشر بالشر فانتضى قصير سيفه فضرب به البواب فقتله . وعمرو على فرسه فدخل الحصن بعقب الإبل . وابتركت الإبل . وحلت الرجال الجوالقات . ومشوا فى المدينة بالسلاح . فسار قصير ومن معه حتى دخلوا قصر الزباء . وكانت تتعرف عمرا على كل حال من أحواله . تريد بذلك أن تعرفه لتكون كلما نظرت اليه أخذت حذرها منه . فلما رأت الزباء عمرا ولت هاربة تريد النفق لكى تنجو فيه فلحقها عمرو فلما علمت أنها لا تفلته مصت خاتما كان فى يدها مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو . — فأرسلها مثلا . وماتت مكانها . وقيل ان عمرا جللها بالسيف واستباح بلادها واستولى

وَسَيْفٌ اسْتَعلَتْ بِهِ هِمَّتُهُ حَتَّى رَمَى أَبْعَدَ شَأْوِ المُرْتَمَى (١)

على ملكها وعظم أمره وهابته الملوك لما كان من حيلته فى الطلب بثأره حتى أدركه وخلف عمرو فى بلاد الزباء من يحكمها ؛ ورجع هو وقصير بالغنائم فيقال إن ذلك أول سبى قسم فى العرب من بلاد الروم ، وكان ملك عمرو نيفا وستين سنة ومن عقبه النعمان بن المنذر

(١) هو سيف بن ذى يزن ملك اليمن ويكنى بأبى مرة ؛ وله قصة عجيبة نذكرها بعد واستعلت ، أى علت وارتفعت يقال علا واستعلى بمعنى واحد . والشأو . الغاية ، وشأو كل شىء غايته ، وشأو الفرس طلقه قال الشاعر فى تثنيته

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هز يز الريح مرت بأثأب

المرتمى . موضع الرمى ، وهو الذى يقال له الغرض ، ويقال له أيضا الهدف ؛ ويقال له أيضا القرطاس

وكان من حديث سيف بن يزن أن الحبشة لما استولت على اليمن وغلبت عليها حمير بعد حروب كثيرة كانت بينهم وبين حمير الى أن هزمهم الحبشة وأغرق ذو نواس آخر ملوكهم نفسه فى البحر أنفة من استيلاء الحبشة على ملكه وخوفا من العار وذو نواس هو صاحب الأخدود الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم ، فأقام الحبشة باليمن اثنتين وسبعين سنة فلما طال عليهم البلاء وطال مكثهم خرج سيف وهو من أهل بيت المملكة الى الروم يستنصر قيصر ؛ فشكى اليه ماهم فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث اليهم من يشاء من الروم فيكون له ملك اليمن فشاور وزراءه فقالوا له . أيها الملك ؛ إن الحبشة فى دينك ، ودين هذا العربى مخالف دينك فماطله . وكره قيصر أن يخفره بعد ما وعده . فلما طال الأمر عليه خرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكى اليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لى على كسرى وفادة فى كل عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس فى ايوان مجلسه الذى

فيه تاجه وكان عظيما مضروبا فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والمضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك فاذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك وقال أبو عبيدة لما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك ان هذا الأحمق يدخل على من هذا الباب العظيم ثم يطأطىء رأسه فقيل ذلك السيف فقال إنما فعلت هذا لهمى لأنه يضيق عنه كل شىء . ثم قال سيف: أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة فقال له الترجمان . يقول لك الملك أى الأغربة الهند أم الحبشة ؟ فقال : بل الحبشة ، وجئت الى الملك لينصرنى عليهم فتكون فى دينه ، فانه أحب الى أن يملكنى وقومى من أن تملكنى الملك الأغربة . فقال له الترجمان . يقول لك هيهات هيهات . بعدت عنا أرضك ، وهى مع ذلك أرض قليلة الخير ، وإنما بها الشاء والبعر ، وهذا لاحاجة لنافيه . وأمر له بعشرة آلاف درهم فقبضها فلما خرج من عنده وهبها على باب الملك . فوجد عليه وأمر برده اليه فقال له الترجمان : الملك وجد عليك . فقال . ولم ذلك ؟ فقال عمدت الى حباء الملك وكرامته . فأنهبته العبيد والاماء . فقال : وما أصنع بالمال ؟ وما جبال أرضى التى خرجت منها إلا ذهب أو فضة ، وانما كانت إرادته أن يرغب الملك فى بلاده فلما سمعه الملك أمره بالقيام ووعده بكل مايحبه . وأن يوجه معه جيشا . ثم ان الملك جمع وزراءه ومرازبته وشاورهم فى ذلك فقالوا له . أيها الملك . أما الرأى عندنا فأن لا توجه جندا من جند فارس فى مفارز العرب . حيث لا ماء ولا كلأ ، وإنما يشرب فيها الماء من عيون مثل عيون الديكة . فان غورت عليهم ماتوا عطشا . فقال ما كنت لأخفره بعد أن وعدته . ولا بد أن أبلغه أمله وأرعى قصده الى ؛ فقالوا ان كان الأمر هكذا فان هنا رأيا . قال وما هو ؟ قالوا . تبعث الى سجونك فان فيها قوما قد استحقوا القتل . وانما حبستهم منة منك عليهم بأرواحهم . واستبقاء لهم فتخرجهم. وترأس عليهم رئيسا من غيرهم ذا رأى وحزم وبصر بالحروب . فان ظفروا فانه ملك زدته الى ملكك وان أصيبوا فهو الذى أردته بهم

فبعث إلى السجون فجمع من فيها ممن يستحق القتل . فكانوا عشرة آلاف رجل فرأس عليهم وهرز . وكان من الأساورة المتقدمين . عالما بالحروب وقد أتت عليه مائه وعشرون سنة وسقط حاجباه على عينيه كبرا وهرما . فجعلهم فى البحر فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن . فلما انتهوا إلى ساحل عدن . قال بعضهم لبعض . علام نغرر بأنفسنا مع ابن الفاعلة ؟ فحملوا أنفسهم على الجسور وهى مجازة ثابتة فى البحر . فانكسرت من السفن واحدة وسلمت خمس إلى عدن فتسامعت به العرب . فاجتمعت إليه واجتمعت الحبسة الى ملكهم مسروق أبرهة فرحت بهم اليه . فتأهب سيف للقتال وقال للأموار وهو وهرز الرأى عندى أن تكون رجلى مع رجلك أن نقاتل أو نهلك صبرا فان السفائن قد انكسرت . ونحن لا نتوقع من المدد امدادا . فعمد الى عصابة حمراء فشد بها حاجبيه وتنكب قوسه . وعبر أصحابه وقال لوهرز . كن أنت وأصحابك حجزة ودعنا والقوم . قال ثم ان سيفا خالطهم فاقتتلوا مليا ثم قال وهرز وكان ضعيف البصر . على أى الدواب يقاتل ملكهم قالوا على الفيل . فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا . قد تحول الى الفرس فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه . فقالوا قد تحول الى البغل . فقال . البغل ولد الحمار . والحمار ذليل . ذل وذل ملكة ورب الكعبة . ثم أسمتوا له سمتة . فلما استقر بصره عليه . وقد ربط حاجبيه بحريرة أخذ قوسه . وكان لا يوترها غيره ثم نزع فيها وكان على مسروق تاج . وبين عينيه ياقوتة حمراء فرماه ففلق الياقوتة وتغلغل السهم فى رأسه فخر لوجهه . وانهزمت الحبشة فجعل الرجل منهم يأخذ البغلة أو العود فيضعه فى فيه يستامن به . ويدخل منهم النفر الحائط أو الدار فتقتلهم النساء والصبيان حتى أتى على آخرهم وكان كسرى عهد الى وهرز فقال له اذا سرت الى اليمن فظفرت بالقوم فاجمع اهلها وسلهم عن سيف فان كان من ملوكها كما زعم فتوجه بهذا التاج وقد كان أعطاه تاجا وقفازين وملكة على قومه واجب أنت المال وان كان كاذبا فاقتله وأكتب الى لأكتب اليك برأى فلما تمكن من البلاد جمع أبناء الملوك فقال كيف سيف فقالوا ملكنا

فَجَرَّعَ الْأَحْبُوشُ سُمًّا نَاقِعًا وَاحْتَلَّ مِنْ غُمْدَانِ مِحْرَابِ الدُّمَى (١)
ثُمَّ ابْنُ هِنْدٍ بَاشَرَتْ نِيرَانُهُ يَوْمَ أُوَارَاتٍ تَمِيمًا بِالصَّلَا (٢)

وابن أملاكنا ادرك بثأرنا فتوجه وملكه وكتب الى كسرى بذلك فأقره باليمين ومنهم الذين يعرفون بالأبناء نصنعاء الى عهد قريب .

(١) جرع سقى . والجرعة القليل من الماء . ومنه قول الله عز وجل (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) اى لا يقطع شربه . والأحبوش ملك الحبشة ويقال للجماعة ايضا احبوش وحبشة وقد حبشوا اذا اجتمعو . وناقعا : بالغا افصى فعله فى الجسم من الايذاء والموت وثابتا يقال نقع نقوعا اذا ثبت واحتل : نزل بالمكان واتخذه محلا له ومنه سمى المكان الذى ينزل فيه محلا وغمدان موضع بصنعاء اليمن وكان فيه قصر عظيم به صور من الرخام هدمه عثمان بن عفان رضى الله عنه فى الاسلام ويقال ان رسومه باقيمة الى الآن والمحراب ههنا غرفة بصنعاء فيها صور قديمة حسنة انشد الاصمعى للعرب

ربت محراب اذا حثتها لم ادن حتى ارتقى سلما

وقيل المحراب المجلس فى البيت وهو اكرم موضع فيه ومن هذا سمى محراب المسجد لأنه ارفع موضع فيه والدمى الصور وأحدها دمية قال الشاعر

او دمية من مرمر غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

ويقال للنساء ايضا دمى تشبيها لهن بالدمى وصنعاء باليمن كثيرة الاشجار والمياه مرتفعة على ربوة تشبه دمشق وهى من البلدان التى لا يدرى من بناها وتدمر بالشام والنسب اليها صنعانى .

(٢) باشرت اى خالطت ويوم اوارات يوم معروف من ايام العرب واوارات اسم موضع وتميما يعنى قبيلة والنسبة اليها تميمى والصلاة وهج النار وهو مقصور اذا فتحت واذا كسرت الصلا مددته فقلت الصلاء وابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وهو الذى يلقب بمضرط الحجارة

مَا اعْتَنَّ لِي يَأْسٌ يُنَاجِي هِمَّتِي إِلَّا تَحَدَّاهُ رَجَاءٌ فَاكْتَمَى (١)

وهو الذى قتل طرفه بن العبد واسمه عمرو وإنما لقب بطرفة لقوله

لاتعجلا بالبكاء مطرفا ولا أميريكا بالدار إذ وقفا

وكان من حديث عمرو بن هند المذكور هنا أنه كان شديد البأس وكان عم النعمان بن المنذر كان له أخ مسترضع فى بنى تميم خرج يوما يتصيد فمر بابل لرجل من بنى تميم فرأى فيها ناقة حسنة فرماها فعقرها فجاء صاحبها فلما رآها معقورة وثب عليه فقتله فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بنى تميم مائة بدلا منه فغزاهم يوم أوارات فسبى ماأصاب فى بلادهم وأقبل يقتلهم على الثنية . وآلى ليقتلهم حتى يبلغ الدم الى الأرض وليحرقنهم فقيل له أيها الملك لترفعن السيف أو قد أفنيتهم فقال والله لأتركنهم أو يأتونى بمائة رجل من خيارهم فطلبوا فلم يوجد منهم إلا تسعه وتسعون رجلا . فلما جىء بهم أمر بحفر زبية فاحتفرت لذلك ، ثم قال اضرموا نارا وألقوا فيها الحطب فأججت نار عظيمة فقال ألقوا فيها رجلا رجلا وبقى واحد من نذره فبينماهم كذلك إذهم برجل راكب قد طلع عليهم وكان من البراجم فأبصر الدخان ووجد قتار لحومهم أى رائحتها ـ على بعد فظن أنه طعام يصنع للناس فأقبل نحوهم فلما بلغ ورأى ما رأى جزع فقال عمرو انظروا ممن الرجل فأخذ فأتى به اليه فقال من أنت فقال رجل البراجم فقال عمرو :

إن الشقى وافد البراجم

وهو من امثالهم . ثم قال ألقوه فى النار ليتم نذرى فألقى فيها فتم نذره . والبراجمه من بنى تميم .

(١) اعتن : اعترض . وتحداه : اعتمده وقصده . واكتمى استتر وتغطى . ومن ذلك سمى الشجاع كمياً لاستتاره بسلاحه . وقيل بل سمى كمياً لأنه يكمى شجاعته أى يسترها فلا يظهرها إلا عند الحاجة اليها يقول إننى لم يعرض لى بأس الا رجوت زواله

أَلِيَّةً بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النَّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَازِ الْفَلَا (١)
خُوصٍ كَأَشْبَاحِ الْحَنَايَا ضُمَّرِ
يَرْعُفْنَ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَذْبِ الْبُرَا (٢)

---

(١) ألية باليعملات : أى قسما باليعملات نصب على المصدر كأنه قال أولى ألية باليعملات او آليت ألية باليعملات باليعملات جمع يعملة وهى الناقة الصلبة الشديدة ويقال للذكر يعمل والنجاء : السرعة والأجواز جمع جوز وجوز كل شيء وسطه والفلا جمع فلاة وهى الصحراء وتكتب بالألف لأنك تقول فى الجمع فلوات يقسم بالنوق الكريمة التى تجود الفلاة وتقطعها سرعة

(٢) الخوص الابل الغائرة العيون من الهزال أو الضيقه العيون لأن الخوص ضيق العيون والفعل منه خوص يخوص خوصاً والذكر أخوص والأنثى خوصاء والاشباح الشخوص جمع شاخص واحدها شبح والحنايا القسى واحدها حنية شبه الابل بها لضمرها وضمن جمع ضامر وهو المهزول اللاحق البطن ضمورا وهز الاقال حميد الارقط

لاحق بطن بقرى سمين

أى ضامر ويرعفن يسلن وهو مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الانف والامساج الاخلاط واحدهم مشج وهو ما يسيل من أنوف هذه النوق التى نعتها بالخوص المختلط المتغير بالدم وقوله من جذب أى من سوق وفيه لغتان جذب وجبذ على التقديم والتأخير ويقال جبذ وجذب إذا ساق وفلان شديد الجذب والجبذ أى السوق والبرا جمع برة وهى الحلقة تكون فى أنف البعير أو فى لحمة أنفه من صفر أو حديد أو فضه فان كانت من شعر أو صوف فهى حزامة . وان كانت من عود فهى خشاش فان كانت من بقية حبل فهى عران وبروت البعير جعلت فى أنفه برة

يَرْسُبْنَ فِى بَحْرِ الدُّجَا وَبِالضُّحَى يَطْفُونَ فِى الآلِ وبِالآلِ طُفَا[1]

أَخْفَافُهُنَّ مِنْ حَفَا وَمِنْ وَجَى مَرْثُومَةٌ تُخْضَبُ مُبْيَضَّ الحَصَا[2]

يقول ان هذه النوق منحنية الظهور كأنها القوس ضمورا وانحناء مع غؤور عينيها تسيل أنوفها دما من شدة جذب البرى التى بالأنف وانما يكون ذلك من شدة السير والطرد .

(١) يرسبن : يغبن والرسوب الغوص فى الماء والمغيب فيه الى أن يبلغ قعره وبحر الدجى شبه الليل بالبحر والنوق بالسفائن ترسب فى فى قاعة وفى النهار تطفو فوقه . والدجى الظلمة وهو جمع واحده دجية يقول هذه النوق تغيب فى ظلمة الليل وتظهر فى خلال النهار . والضحى . بضم الضاد مقصور هو طلوع الشمس واشراقها . وأما الضحاء بفتح الضاد والمد فهو فوق ذلك وهو القائلة . ويطفون أى يعلوز والطافى فوق الماء المرتفع كما قال الشاعر .

فما سبق القيس من سوء سيرة ولكن طفت علماء غرلة خالد

يريد على الماء . والآل ما رفعته الشمس غدوة . والسراب إنما يكون فى انتصاف النهار كأنه ماء وليس بماء قال الله عز وجل (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وطفا ارتفع يقال طفا يطفو فهو طاف

(٢) الأخفاف للابل بمنزلة الحوافر للخيل الواحد خف . والحفا مقصور رقه أخفاف الابل وحافر الدابة من كثرة المشى . والوجا با بالجيم وفتح الواو مقصور وجع فى الرجل يصيب الرجل من الحفا ، يقال من ذلك وجى الرجل يوجى وجى فهو وج . ومرثومة مشقوقة من الحجارة وقيل مكسورة وتخضب تصبغ . والحصا جمع حصاة مثل قطا وقطاة يقول إن أخفافهن مشقوقة من الحفا والوجا الذى اعتراها من كثرة المشى وارتطامها بحصى البيداء يسيل منا دم غزير يدع الحصى الابيض أحمر قانيا كأنه مخضوب بالحناء .

يَحْمِلْنَ كُلَّ شَاحِبٍ مُحْقَوْقِفٍ مِنْ طُولِ تَدْآبِ الْغُدُوِّ وَالسُّرَى (١)

بَرٍّ بَرَى طُولَ الطَّوَى جِسْمَانَهُ فَهُوَ كَقِدْحِ النَّبْعِ مَخْنُ الْقُرَا (٢)

يَنْوِي الَّتِي فَضَّلَهَا رَبُّ الْعُلَا لَمَّا دَحَا تُرْبَتَهَا عَلَى الْبُنَى (٣)

---

(١) الشاحب . المتغير اللون من السفر أو التعب أو شظف العيش. والمحقوقف المعرج الذى انحنى ظهره ، يقال احقوقف يحقوقف احقيقافا إذا انحنى ، والتدآب . المداومة والعادة يقال دأب يدأب دأبا ودؤبا وتدآبا . والغدو . سير النهار والسراى . سير الليل بعد أن وصف النوق وصف ركبانها وهم وحاجو البيت بالضمور والانحناء من شظف العيش وحر الهاجرة وطول السفر

(٢) مطيع يقال رجل بر أى مطيع لله عز وجل . والجمع أبرار وهو نعت للشاحب فلذلك خفض . وبرى أهزل وأذهب لحمه . ومنه برى القلم أى إضعافه وترقيقه وتجديد طرفه . والطوى الخمص . وهو الجوع . طوى يطوى طوى قال :

ولقد أتيت على الطوى وأظلة حتى أنال به كريم المأكل

وجثمانه . جسمه . والقدح عود صلب تعمل منه السهام والنبع . شجر تعمل منه القسى واحده نبعة والمنحنى : المعوج والقرا الظهر

يصفه بالتقى وطاعة الله لأنه يقصد بيته الحرام وبالهزال وانحناء الظهر والضعف لمواصلته الصيام بدون سحور ويشبهه بقدح النبع لقوته وضموره وشدة احتماله وصبره

(٣) ينوى . يقصد مأخوذ من النية القصد . والتى فضلها رب العلا : يعنى بها مكة . ودحا . بسط . والبنى . جمع بنية وهى الشىء المبنى . يقول إنه يقصد مكة التى شرفها الله على كل بلد منذ أول الخلق وإنما يقصد نفس البيت الحرام لا مكة

حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا اسْتَعْبَرَ لاَ ... يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ جَرَى (١)

ثُمْتَ طَافَ وَانْثَنَى مُسْتَلِمًا ... ثُمْتَ جَاءَ الْمَرْوَتَيْنِ فَسَعَى (٢)

وَأَوْجَبَ الْحَجَّ وَثَنَّى عُمْرَةً ... مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى وَدَعَا (٣)

---

(١) استعبر : بكى . وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة . والهاء من قابلها راجعة إلى الكعبة وهى بيت الله . يقول إنه حين رآى مكة واستقبل البيت الحرام فاضت عبرته وجرت بالدموع عيونه . من خشية الله لا يملك التوقف عن البكاء ولا يكف دمعه الجارى . وهذا البيت والذى يليه من حقه أن يذكر عقب قوله وأوجب الحج ليوافق فى ترتيبه أفعال الحج

(١) ثمت : بمعنى ثم إلا أنهم يزيدون التاء كما يزيدونها بمعنى التأنيث فى قولهم قامت وكذلك يفعلون فى رب فيقولون ربت ، وطاف : يعنى الطواف سبعا بالبيت وانثنى : انعطف ورجع بعد الطواف إلى الاستلام . ومستلما : أى ماسأ الحجر الأسود بيديه أو بفمه أو بعود وهو مأخوذ من السلة وهو الحجر وزنة مفتعل وجمع السلة سلام . والمروتان : الصفا والمروة . وهو موضعان من مناسك الحج . والمناسك : المواضع التى يتقرب فيها إلى الله بصالح العمل . وأصل الصفا الحجارة الصلبة والمروة الحجارة المتينة وواحدة الصفا صفاة وواحدة المرو مروة . وغلب المروة على الصفا فقال المروتين لأنها أشهر من الصفا سماهما باسم واحد كما تقول العرب القمران يعنون الشمس والقمر . وقوله فسعى أى مشى والسعى المشى وسعى أيضا بمعنى عمل قال الله عز وجل ذكره (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) أى شرع فى أداء أركان الحج فطاف بالبيت واستلم الحجر الأسود ثم سعى بين الصفا والمروة .

(٣) أوجب الحج أى ألزمه نفسه . والحج القصد وفى تسميته حجاً ثلاثة أقوال ، وقيل هو من حججت فلانا إذا قصدته فسمى حج البيت حجاً لقصد الناس اليه ، وقيل الحج الزيارة فسمى الحج حجا لعودتهم الى البيت فى كل عام مرة بعد مرة قال الشاعر :

ثُمتَ رَاحَ فِي الْمُلَبِّينَ إِلَى حَيْثُ تَحَجَّى الْمَأْزِمَانِ وَمِنى (١)
ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ يقْرُوا مُخْبِتَا مُوَاقِفًا بَيْنَ إِلَالٍ فَالنَّقَا (٢)

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

والثالث : أنه بمعنى الاقامة لأن الحجاج يقيمون فى مكة أياما تصل الى عشرة وقوله وثنى عمرة : أى ألزم نفسه مع الحج عمرة فجاءت بعد الحج ثانية والعمرة فى كلام العرب الزيارة قال الشاعر

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

وقوله من بعد ما عج : أى رفع صوته بالدعاء . والتلبية قولهم : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأصله عند الخليل وسيبويه من ألببت بالمكان اذا أقمت به ، ولببت أيضا لغة قال الخليل وسيبويه ثم قلبوا التاء الثانية ياء استثقالا كما قالوا تظنيت من الظن والأصل تظننت وكذلك قالوا لبيت والاصل لببت فكان معنى قولهم لبيك أنا مقيم على طاعتك قد أجبتك الى ما دعوت ثم ثنوه للتوكيد فقالوا لبيك أى أقمنا على طاعتك اقامة بعد اقامة لأنه كان قبل أن يثنى لب فجاءوا بالياء للتثنية ولم يستعمل مفردا ، وروى عن الخليل قول آخر وهو أنه مأخوذ من قولهم : أم لبه أى عاطفة على ولدها فيكون معنى لبيك على هذا القول اقبالا عليك يا رب بعد اقبال وانعطافاً الى المكان الذى دعوت اليه فأجبنا مسرعين ويمنا مهطعين والملبون جمع ملب ، والملبى هو المجيب بالتلبية .

(١) راح أى خرج بالرواح وهو الخروج بالعشى والغدو أول النهار ، قال الله عز وجل (غدوها شهر ورواحها شهر) والمأزمان جبلان بين المزدلفة ومنى . ومنى : محل رمى الجمار بمكة . وتحجى : أقام . يقال : تحجى بالمكان . وحجى اذا أقام فيه ولبث .

(٢) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج . ويقرو يتبع المواضع ويدخل من موضع الى موضع . والمخبت المتواضع المخلص لله تعالى

وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ سَبْعًا بَعْدَهَا وَالسَّعْيَ مَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالصُّوَى (١)
وَرَاحَ لِلتَّوْدِيعِ فِيمَنْ قَدْ أَحْرَزَ أَجْرًا وَقَلَى هُجْرَ اللُّغَا (٢)

قال الله عز وجل (وبشر المخبتين) . والمواقف : المواضع التى يقف فيها الحاج بعرفة والمزدلفة للدعاء والصلاة وألال كسحاب وكتاب جبل بعرفات أو جبل عن يمين الامام بعرفة يقوم فيه الامام بالناس يوم عرفة . والنقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودية ، وهو مقصور يكتب بالألف على قول من قال فى تثنيته نقوان ، ويكتب بالياء على قول من قال نقيان وأما النقاء ممدودا فمصدر الشيء النقى

(١) واستأنف : ابتدأ . والسبع يعنى رمى الجمار السبع . وسبعا بعدها أراد السبع الثانية التى تلى الأولى . والسعى المشى . والعقاب جمع عقبة . والصوى الكدى وهى جمع صورة وقيل الصوى الحجارة التى تنصب على الطريق ليهتدى بها

(٢) راح للتوديع أي لتوديع البيت الحرام ، وكذلك يفعل الحاج بعد الفراغ من رمى الجمار والذبح والحلق يذهب إلى البيت مودعا فيطوف به سبعا ويسعى بين الصفا والمروة سبعا ويرجع إلى منى فيقيم بها ثلاثة أيام ومنهم من يتعجل فى يومين ثم يتفرقون كما قال الشاعر

فلله عينا من رأى من تفرق أشت وأنأى من فراق المحصب
فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

وأحرز أجرا ملكه وأصابه وقلى ابغض ، ومنه قوله جل وعلا (ما ودعك ربك وما قلى) وتصريفه قلى يقلى قلا . والهجر بضم الهاء القبيح من الكلام ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « انى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا » يقال منه هجرا لرجل يهجر هجرا إذا تكلم بكلام قبيح والاسم منه الهجر ، واما الهجر بفتح الهاء فهو الهذيان من القول كما يفعل المهتر المريض صاحب الموم والبرسام ، والهجر أيضا بفتح الهاء القطع والصريمة

بِذَاكَ أَمْ بِالْخَيْلِ تَعدُو الْمَرَطَى نَاشِزَةً أَكْتَادَهَا قُبُّ الْكُلَى (١)
شُعْثًا تَعَادَى كَسَرَاحِينَ الْغَضَا مِيلَ الْحَمَالِيقِ يُبَارِينَ الشَّبَا (٢)

تقول هجرت فلانا إذا قطعته أهجره هجرا فهما جميعا . واللغا الباطل من الكلام وفيه لغتان لغو ولغا ، قال الله عز وجل (والذين هم عن اللغو معرضون) وإحراز الأجر مسبب عن هجر اللغى فهو مقدم فى المعنى وإن تأخر فى الذكر

(١) بذاك أم بالخيل هذه الباء متعلقة بقسم محذوف تقديره أقسم بذاك أم بالخيل . وتعدو بالعين المهملة أى تجرى ، يقال عدا يعدو عدواً إذا جرى ، والمرطى ضرب من العدو وهو السهل منه . وناشزة بالزاى المعجمة أى مرتفعة ومنه قولهم قعدت على نشز من الأرض أى موضع من الأرض مرتفع ، ومنه قوله جل ذكره (وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا) أى ارتفعوا . وأكتادها جمع كتد وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف ، وقيل الكتد ما بين الكاهل ووسط الظهر . وقب الكلى أى ضامرة الكلى . وقب جمع أقب أقسم أقسم فيما مضى بالابل تحمل البررة من الحاج آمين البيت العتيق بمكة محرمين بالحج ملبين لله معرفين مخبتين مشاهدين المواقف الكريمة طائفين بالبيت سبعا ساعين بين الصفا والمروة مودعين صائمين عن اللغو وهجر القول نالوا الأجر من الله . بذلك وبذاك أقسم بالحاج نفسه وأم بالخيل قسم آخر يقول أقسم بالابل ومن أقتلته ظهور من الحاج أقسم بالخيل العادية المرتفعة ظهورها ضمورا وهزالا .

(٢) الشعث تفرق شعر الرأس وتناثره والشعث الخيل الثائرة الاعراف أى المرتفعة شعر الأعراف ، والأعراف جمع عرف وهو شعر عنق الفرس ، وتعادى تتسابق أراد تتعادى ، وسراحين جمع سرحان وهو الذئب ، والغضا جمع غضاة وهو شجر بالبادية دائم النبت قال الشاعر

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا شبوه بين جوانحى وضلوعى

وهو شجر يدوم جمره ، وميل جمع مائلة ، والحماليق جمع حملاق أو حملوق باطن أجفان العين أو العين ، يبارين يعارضن ، والشبا مقصور جمع

يَحْمِلْنَ كُلَّ شِمِرِيٍّ بَاسِلٍ شَهْمِ الْجَنَانِ خَائِضِ غَمْرَ الْوَغَى (١)
يَغْشَى صَلَا الْحَرْبِ بِحَدَّيْهِ إِذَا كَانَ لَظَى الْحَرْبِ كَرِيهَ الْمُصْطَلَى (٢)
لَوْ مُثِّلَ الْحَتْفُ لَهُ قِرْنًا لَمَا صَدَّتْهُ عَنْهُ هِيبَةٌ وَلَا انْثَنَى (٣)

شباة وشباة كل شيء . حده والمراد بها هنا أطراف الرماح

يقول إن هذه الأفراس نشيطة سعثة من كثرة العدو والحركة وهى حين تعدو عدو الذئاب ترنو بعيونها الأطرف الأسنة وتميل معها فى كل اتجاه

(١) يحملن يريد الخيل والشمرى الماضى فى الأمور وهو مأخوذ من التشمير يريد كل مشمر لملاقاة أقرانه مشتد لذلك والباسل الشجاع مشتق من البسل وهو الحرام قال الشاعر

بكرت تلومك بعد وهن فى الندى بسل عليك ملامتى وعتابى

أى حرام فكأن الباسل حرم على أقرانه الدنو منه لشجاعته وشدته وقيل الباسل المر الكريه وقد بسل الرجل يسبل بسالة إذا صار مراً وشهم الجنان حاد القلب والجنان القلب وخائض أى داخل ووالج والغمر الماء الكثير الذى يغطى من دخله ويغمره والوغى جلبة الناس وصياحهم فى الحرب إلا أنهم سموا الحرب وغى باسم الصياح الذى يكون فيها . يصف الرجال فوق الخيل بالبسالة والقوة والتجربة فى الحروب وأنهم ألفوها

(٢) يغشى يدخل ويطأ . والصلا مفتوح مقصور حر النار فاذا كسر أوله مد فقيل صلاء . ولظاها أيضا حرها . وحدا السيف جانياه ولظى الحرب شدة نارها . وكريه المصطلى أى مبغض الاستدفاء به يقول إنه مغامر يقذف بنفسه كلها فى الحرب لشجاعته وقوته وإيمانه بالغلبة والقهر

لو مثل الحلف أى صور والحتف الهلاك ، والقرن الذى يقارنك فى (٣) بطش أو قتال أو علم . وصوته منعته ومنه قوله تعالى (وصدوكم عن المسجد الحرام) وهيبة أى مخافة والهيبة أن يعظم الانسان فى عينك وتهابه

وَلَوْ حَمَى الْمِقْدَارُ عَنْهُ مُهْجَةٌ لَرَامَهَا أَوْ يَسْتَبِيحَ مَا حَمَى (١)
تَغْدُو الْمَنَايَا طَائِعَاتٍ أَمْرَهُ تَرْضَى الَّذِي يَرْضَى وَتَأْبَى مَا أَبَى (٢)
بَلْ قَسَمًا بِالشُّمِّ مِنْ يَعْرُبَ هَلْ لِمُقْسِمٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا مُنْتَهَى (٣)

حتى تخافه وانثنى رجع والانثناء الرجوع عن الشيء والانصراف عنه

(١) حمى يحمى حماية يمنع والمقدار هو القدر يعنى قدر الله عز وجل والمهجة النفس وجمعها مهج ورامها طلبها وأدركها ويستبيح يدرك ذلك الشيء نافذا أمره فيه ونصب يستبيح بأن لأن أو هنا بمعنى حتى وأو إذا كانت بمعنى حتى أو بمعنى الا أن كان الفعل بعدها منصوبا فأما كونها بمعنى حتى فمثل هذا الذى ذكرنا وأما كونها بمعنى الا أن فمثل قولك لأضربنك أو تقرأ أى الا أن تقرأ ومنه قول امرىء القيس

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وان وقعت أو فى موضع لا يصلح فيه الا أن أو حتى كان الرفع لا غير كقولك أتجلس أو تقوم أتزورنا أو تقطعنا يقول انه يغالب القدر فيغلبه فلو أن نفسا لم يأت أجلها من النفوس التى تعاديه حماها القدر لرام فرسها وأدرك ذلك حتى يستبيح بسيفه ما حماه القدر وانما هذا مبالغة واغراق فيها

(٢) تغدو تأتى بالغدوة مبكرة اليه ويروى تعدو بالعين المهملة ومعناه تسرع الى طاعته وتبادر الى ارادته وتأتى تكره ولا تريد وتصريفه أى يأبى آباء وابايه فهو آب يرتب عليه أن المنايا أصبحت طوع مشيته منقادة لأمره خاضعة لحكمه وتصرفه تقر الذى يراه لا تعصى له قولا فقد تلاشت فيه أصبح هو المنايا وهذا اغراق أيضا وتهويل

(٣) بل حرف عطف وهو للاضراب عن الأول للثانى وقسما أى يمينا والشم الطوال وقيل أشراف الناس ويعرب قبيلة من العرب تنسب الى يعرب بن يشجب بن قحطان والمقسم الحالف ومنتهى أى غاية

هُمُ الْأُولَى إِنْ فَخَرُوا قَالَ الْعُلَا ... بِفِي امْرِىءٍ فَاخَرَهُمْ عَفْرُ الْبَرَى (١)

هُمُ الْأُولَى أَجْرَوْ يَنَابِيعَ النَّدَى ... هَامِيَةً لِمَنْ عَرَى أَوْ اعْتَفَى (٢)

هُمُ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنِ انْتَخَى ... وَقَوَّمُوا مِنْ صَعَرٍ وَمِنْ صَغَا (٣)

يقسم بأشراف بنى يعرب . ويقول مستفهما مستنكرا إن هذا نهاية الحلف فلا قسم عنده بعدهم لبلوغهم نهاية العز والشرف

(١) هم الأولى يعنى هؤلاء والعلا الفخر والرفعة ومعالى الأمور مكارم الأخلاق وبقى امرىء أى بفمه وعفر الأرض وجهها والبرى مقصوراً التراب يقال ماعلى عفر الأرض مثله أى وجهها يقول إن لهم الذروة فى المفاخر لايساميهم فيها أحد حتى أن العلا لتقول لمن تجرأ على مفاخرتهم يفيك التراب

(٢) الينابيع العيون التى تجرى بالماء فى الأرض . قال الله جل ذكره (فسلكه ينابيع فى الأرض) واحدها ينبوع . قال الله جل ذكره (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) والندى الجود وهو الكرم والهامية السائلة يقال همى المطر إذا سال وعرا قصد وتعرض الطلب يقال عرانى واعترانى إذا تعرض لسؤالى . والمعتر . المعترض ومنه قول الله جل ذكره (وأطعموا القانع والمعتر) القانع هو السائل والمعتر . المعترض واعتفى . طلب من غير تعرض والمعتفى . الطالب للقرى والرفد وجمعه معتفون ويقال فيه أيضا عاف وعفاة . يقول إن ينابيع نداهم تفيض وتهمى على الناس جميعا من قصدهم ومن لم يقصدهم

(٣) دوخوا . أذلوا يقال دوخت فلانا إذا أذللته . وداخ هو نفسه إذا ذل وانتخى . افتعل من التخوة وهى التفاخر والتعاظم . والتقويم التأديب بالزامه طريق الاعتدال والصعر التكبر وأصل الصعر الميل وهو أن يميل

هُمُ الَّذِينَ جَرَّعُوا من مَاحَلُوا أُفَاوِقُ الصَّيْمِ مُمَرَّاتِ الحَسَا(١)
أَزَالَ حَشْوَ نَثْرَةَ مَوْضُونَةٍ حَتَّى أُوَارِى بَيْنَ أَثْنَاءِ الْجُبَى(٢)

الانسان خده من التكبر قال الله تعالى(ولا تصعر خذك للناس) أى لاتتكبر وقرىء ولا تصعر تقول رجل أصعر وأمرأة صعراء والصغا الميل قال الله تعالى (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخره) أى ولتميل

يقول إنهم شجعان بواسل أدبوا كل متعطم شديد الفخر حتى ذل وانقاد لأمرهم ولزموا الجادة والطريق المستقيم وإنما ذلك لقوة بأسهم وشدتهم فى الحرير

(١) وجرعوا الجرعة حسوة الماء وجرع الماء ابتلعة وجرعه سقاه إياه مقطعا على مهل طوعاأو كرها وجرعة الماء والشراب فتجرعة أى شربه قال الله تعالى (يتجرعه ويكاد يسيفه) واجترعة جرعه بمرارة وماحلوا . غالبوا ماحله بما حله ومحالا قاواه حتى يتبين أيهما أشد والمحالة البكرة العظيمة تعلق على فوهة البئر والأفاوق جمع فيقة اسم لما يجتمع فى الضرع بين الحلبتين والضيم الظلم والانتقاص ومرات ـ أى مريرة مرة والجسا اسم لما يحتسى لما من مرق أو غيره أو يشرب شيئا بعد شىء أو تناول الطائر الماء إذلا يقال شرب الطائر وإنما يقال حسا . يقول إنهم الذين أذاقوا أعداءهم العذاب الشديد ألوانا وسقوهم الضيم حسوة بعد حسوة والمرار جرعة بعد جرعة ليكون أبلغ فى العذاب وأشد فى الايلام

(٢) أزال . هوجواب القسم فى قوله بل قسما بالشم وأرد لا أزال والعرب تقول والله أفعل كذا بمعنى لا أفعل مستعمل إسقاطها فى الجواب قال الله هو وجل (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) أى لا تفتؤ وقال امرؤ القيس

فقلت يمين أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أراد لا أبرح وحشو نثرة موضونة أى لابس نثرة لان الحشو ما حشى به أى أدخل فى جوفه فكأنه صار حشوا إذا لبسها والنثرة الدرع الواسعة وكذلك النثلة المرضونة الدرع المنسوجه أو المقاربة النسج أو المسوجة

وَصَاحِبَيَّ صَارِمٌ فِي مَتْنِهِ مِثْلَ مَدَبِّ النَّمْلِ يَعْلُو فِي الرُّبِ (١)
أَبْيَضُ كَالْمِلْحِ إِذَا انْتَضَيْتُهُ لَمْ يَلْقَ شَيْئًا حَدُّهُ إِلَّا فَرَى (٢)
كَأَنَّ بَيْنَ عِيرِهِ وَغَرْبِهِ مُفْتَأَدَ تَأَكَّلَتْ فِيهِ الْجُدَى (٣)

حلقتين حلقتين أو بالجواهر المحكمة النسخ قال الله عز وجل (على سرر موضونة) وأوارى أغطى والأثناء والمثانى القوة والطاقات جمع ثنى وهو ما ثنى منها أو تعوج وتراكب وانعطف على بعض والجثى جمع جثوة وهى الحجارة المجموعة يقول قسما بالشم الخ لا أزال لا بسا درعى المحكمة النسخ حتى أموت وأوارى فى قبرى بين الصخور

(١) صاحباه سيفه وفرسه الذى سيذكره فى البيت الخامس بعد والصارم السيف القاطع وجمعه صوارم وفى متنه أى فى ظهره يعنى ومتن يعنى متن السيف يريد بذلك وسطه والمدب الطريق ومدب النمل طريق سيره هو من رب يدب مدبة ودبا ودبيبا إذا مشى يريد فرند السيف وهو جوهره الذى تراه كأثر النمل أو النقوش التى تكون كالحلية عليه وإنما تحلى السيوف القاطعة المحربة لا يريد الندوب التى تظهر على الحديد من أثر الدارق عند صنعه فذلك عيب فى الصناعة أو المصنوع ويعلو يرتفع والربى جمع ربوة ما ارتفع من الأرض يصف النمل وطريقه بعد أن أقسم أنه لا يزال لابسا الدرع السابغة قال إن صاحبى سيف صارم عظيم محلى متنه ومنقوش نقشا بديعا متمنما يخال كطريق النمل الآخذ فى سيره إلى مسكنه من الربوة فى الأرض

(٢) أبيض كالملح يصف السيف بالبياض وانتضيته جردته من غمده فرى قطع والفرى القطع وتصريفه فرى يفرى فريا يقول سيفى أفض كالملح فى البياض والصفاء إذا جردته وسللته من غمده فرى وقطع ومزق به كل شىء يصادفه جيد قاطع

(٣) العير هنا الموضع الناتىء فى وسط السيف والغرب حد السيف

يَرَى المَنُونَ حِينَ تَقْفُو إِثْرَهُ ... فِى ظُلَمِ الأَكْبَادِ سُبْلًا لَا تَرَ[1]

إِذَا هَوَى فِى جُثَّةٍ غَادَرَهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ خَسًا وَهِىَ زَكَا[2]

وَمُشْرِفُ الأَقْطَارِ خَاظٍ بَحْضُهُ ... حَابِى القَصِيرِ جُرْشُعٍ عَرْدُ النَّسَا[3]

الذى يضرب به والمفتأد موضع النار تأكلت أكل بعضها بعضاً والجذى جمع جذوة وهى الجمرة العظيمة يصف الموضع الذى بين العير والغرب بتغير لونه من أثر النار يقول كأنما كانت فيه نال ملتهبة أبقت أثراً لا يفارقه وإنما يكون السيف كذلك من كثرة مصاربه وما علق به من آثار الدماء.

(١) المنون هنا المنية وتقفو أى تتبع والسبل الطرق واحدها سبيل يريد أن هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت وهذا من رقيق الشعر فهو يقول إن المنون تتبع آثار هذا السيف وهو يبضرها طرقا خفية فى ظلم الاكباد لا يمكن أن تراها بغيره

(٢) هوى فى جثة أى وقع على جثة ففى هنا بمعنى على والجثة الجسد وجمعها جثث وغادرها تركها ومنه قول الله عز وجل (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) والخسا الفرد والزكاة الشفع من العدد والزوج وإنما يعنى به أنه إذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد أن كان واحدا أى أن هذا السيف إذا سقط على جثة شطرها نصفين فصيرها زوجا بعد أن كانت فرا

(٣) مشرف الاقظار يعنى فرسه والمشرف المرتفع العالى الاقطار النواحى واحدها قطر قال الله جل ذكر (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) والخاظى الغليظ المكتنز والنحض اللحم والحابى بالباء المرتفع والقصير ضلع فى الجنب وهى الضلع السفلى والجرشع الغليظ الأضلاع وهو الشديد من الخيل القصير الاضلاع المنصب إلى الصلب وقيل الجرشع العظيم الصدر وهو محمود فى الخيل والعربده

قَرِيبُ مَا بَيْنَ الْقُطَاةِ وَالْمَطَا بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْقَذَالِ وَالصَّلَا (١)

سَامِي التَّلِيلِ فِي دَسِيعٍ مُفْعَمٍ رَحِبَ اللَّبَانِ فِي أَمِينَاتِ الْعُجَى (٢)

الشديد من كل شيء والنساء عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعرقوب حتى ينتهى إلى الرسغ وهو يكتب بالياء والألف لأنه يقال فى تثنيته نسيان ونسوف وصف أول صاحبيه وهو السيف بما تقدم ثم وصف صاحبه الثانى وهو الفرس بأنه عالى النواحى وإنما يكون كذلك لعظم هيكله وجسامته وبين ذلك بأنه خاظى اللحم مكتنزه وليس إشراف أقطاره لبروز عظامه هزالا ولكن سمنا وقوة ثم وصفه بارتفاع أعلاه ومنكبيه وعنقه والمتانة والشدة لاجتماع أسبابها فيه من غلظ الاضلاع وشدة النسا

(١) القطاة العجز وما بين الوركين أو مقعد الرديف من الفرس والمطا هو الظهر كله سمى بذلك لأنه يمطى أى يركب والقذال جماع مؤخر رأس الفرس ومعقد عذاره أى ينعقد عذاره خلف الناصية وهو ما بين الأذنين والصلاة العجز وهو آخر الوركين يصف مؤخرته بالتقارب للقوة والمتانة وبعد ما بين رأسه إلى عجزه لاكتمال جماله بطول عنقه

(٢) السامى العالى المرتفع والتليل العنق وسمى تليلا لأنه يتل منه أى يصرع والدسع مغرز العنق فى الكاهل والدسيعة بالتاء فى غير هذا الموضع المائدة الكريمة ومنه قولهم فلان ضخم الدسيعة أى كثير طعام المائدة والمفعم الممتلىء يقال أفعمت الاناء إذا ملأته والرحب الواسع ومنه سميت الرحبة لاتساعها واللبان الصدر والأمينات القويات الصحاح سالمات الصلاب واحدتها أمينة والعجى واحدتها عجاية بالضم وهى عصب مركب فيه فصوص كفضوض الخاتم تكون عند رسغ الدابة أو كل عصبة فى يد أو رجل أو عصبه فى باطن الوظيف من الفرس تجمع على عجى وعجى يصف عنق الفرس بالسمو والارتفاع ومغرزه بالامتلاء وصدره بالرحابة والاتساع

رُكِّبْنَ فِي حَوَاشِبٍ مُكْتَنَّةٍ إِلَى نُسُورٍ مِثْلَ مَلْفُوظِ النَّوَى (١)
يَرْضَخُ بِالبِيدِ الحَصَى فَإِنْ رَقَى إِلَى الرُّبَى أَوْرَى بِهَا نَارَ الحُبَا (٢)
يُدِيرُ إِعْلِيطَيْنِ فِي مَلُومَةٍ إِلَى لَمُوحَيْنِ بِأَلْحَاظِ اللَّأَى (٣)

وأعصابه بالقوة والثابات لا الخور والضعف

(١) ركبن يريد العجى أو القوائم الحواشب جمع وهو عظيم بباطن الحافر وقيل بين الرسغ والحافر والمكتنة المستورة من كننت الشيء إذا سترته أو المكتنه المكتنزة ويروى مكينة أى غليظة والنسور جمع نسر وهى لحمة ناتة يا بسة فى باطن الحافر شبهها بالنواة إما لصلابتها ولأنها على صوره النواة وملفوظ للنوى ما لفظ منه أى رمى به وطرح يقال لفظت الشيء إذا رميت به ولفظه البحر يلفظه اذا طرجه ورمى به الى الساحل والنوى جمع نواة وهى ما فى داخل التمرة من العظم الذى فيها يصف أعصاب الفرس أو قوائمه وكيف ركبت مع الحوافر وكيف نبتت الحوافر صلبة بارزة

(٢) يرضخ بكثر والرضخ الكسر والبيد جمع بيداء القفر ورقى ارتفع والربى جمع ربوة وهى الكدى وأورى أو قد والمستقبل يورى قال الله عز وجل (أفرأيتم النار التى تورون) أى توقدون وقال (فالموريات قدحاً) فالموقدات قدحاً والحباحب دبة تضيء بالليل كأشد ما يكون من النار واسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر قال النابغة

تقد السلوقى المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

يقول إن حوافر هذا الفرس تكسر حصا البادية حين تطؤه ويكاد اصطدام حوافره بالحجارة يورى كالزناد ناراً مضيئة لامعة كنار الحباحب فى لمعانها وبريقها

(٣) الاعليط وعاء المرخ شبه أذنى الفرس بذلك ، هو شبيه بقشور

مُدَاخِلُ الخَلْقِ رَحِيبٌ شَجَرُهُ مَخْلُوقُ الصَّهْوَةِ مَمْسُودٌ وَأَى (١)
لَا صَكَكٌ يُشِينُهُ وَلَا فَجَا وَلا دَخِيسٌ وَاهِنٌ وَلَا شَطَا (٢)

الباقلا الرطبة تشبه بآذان الخيل والملومة لهامة المجتمعة المستوية واللوحان العينان و الألحاظ النظرات وهى وجمع لحظة واللأى الثور الوحشى والأنثى لآة على وزن لعاة يقول إن هذا الفرس كله حركة ودؤوب ونشاط لأن آذانه وعينيه دائبتا الدوران وذلك اذا كان نشيطا

(١) المداخل المجموع والخلق الخلقة والصورة والرحب الواسع والشجز بالشين المعجمة والجيم والراء مجتمع عظم اللحيين . وقال أبو بكر الزبيدى والشجر مخرج الفم والمخلوق والأملس يقال اخلولق متن الفرس أى صار أملس والصهوة من الفرس موضع السرج وهو ظهره والممسود . المفتول قال الله تعالى فى حق أبى لهب (فى جيدها حبل من مسد) والوأى الصلب الشديد وهو أيضا السريع من الخيل يصف الفرس بالقوة وباجتماع أعضائه ورحابة فمه واملاس متنه وإنما قال ممسود لبدو عضلاته وتمايزها قوة وصلابة

(٢) الصكك احتكاك العرقوبين أحدهما بالآخر . وقيل هو اصطكاك الركبتين يشينه يعيبه والفجا تباعد ما بين العرقوبين كثيرا وهو الفحج أيضا والفجا أيضا تشقق العصب وانتشاره لفساد وهو عيب والدخس تراكم اللحم على حوافر الفرس وقيل الدخيس وجع يصيب الفرس فى مشاش حافره والواهن الضعيف يقال وهن الشىء إذا ضعف ومنه قول الله عز وجل (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا) وقال (رب إنى وهن العظم منى) أى ضعف والشطا عظم لاصق بالذراع وقيل الشطا انشقاق العصب بعد أن أثبت للفرس الصفات التى تمدح بها أصائل الخيل نفى عنه العيوب التى تشينه كالصكك والفجا والدخس والوهن والشطا ليتم كماله

يجرى فتكبو الريح فى غاياته حسرى تلوذ بجراثيم السحا[1]

لو اعتسفت الأرض فوق متنه يحوبها ما خفت أن يشكو الوجى[2]

تظنه وهو يرى محتجبا عن العيون إن دأى أو إن ردى[3]

---

(١) تكبو تعثر لوجهها لسبق الفرس إياها وإنما هو مثل والغايات جمع غاية وهى منتهى جريه وحسرى منكشفة قال الله عز وجل (ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) وتلوذ تلجأ والجراثيم جمع جرثومة وهو التراب الذى يجتمع فى أصول الشجر والجراثيم أيضاً الأصول واحدها جرثومة والسحا ضرب من الشجر يقول إنه يسابق الريح فيسبقها فى كل غاية ثم زعم أن الريح تسقط دون غاياته متكشفة مقهورة مغلوبة على أمرها منه نحو الأرض معتصمة منه بأصول النبت أى بالأرض

(٢) اعتسفت الأرض يقال عسف عن الطريق مال وعدل وكذلك اعتسف وتعسف أو خبط على غير هدية يريد قطعت الأرض أى سرت فيها باعتساف منك والاعتساف ضد الرفق وهو المشقة ومتنه ظهره ويحوبها يقطعها ويخرقها ومنه قول الله عز وجل (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) والوجى الحفا أو أشد منه أو أن يبلغ الوجع الى باطن الرسغ يقول ان هذا الفرس لقوته وصبره لا يشكو الحفا ولو أنك عدلت به عن الطريق المعروفة وسرت به فى الطرق المجهولة فانه يحوبها دون أن يخاف أو يخشى حفا وذلك لمتانة حوافره وشدة قوائمه

(٣) دأى جرى وكذلك ردى والدأى الردى ضرب من العدو يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى رديا إذا جرى جريا سريعاً يقول إنه لسرعته وشدة جريه تظن أن العين لا تدركه مع أنها تراه وإنما ذلك لشدة عدوه

إِذَا اجْتَهَدْتَ نَظَرًا فِي إِثْرِهِ قُلْتَ سَنًا أَوْ مَضَ أَوْ بَرْقٌ خَفَا (١)

كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا إِبْدَا (٢)

هُمَا عَتَادِي الْكَافِيَانِ فَقُدْمَنْ أَعْدَدْتُهُ فَلْيَنْأَ عَنِّي مَنْ نَأَى (٣)

فَإِذَا سَمِعْتَ بِرَحًى مَنْصُوبَةٍ لِلْحَرْبِ فَاعْلَمْ أَنَّنِي قُطْبُ الرَّحَى (٤)

---

(١) اجتهدت تكلفت النظر وإثره خلفه والسنا مقصور الضوء قال الله عز وجل (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) وأومض أضاء ولمع لمعا خفيفاً يقال فى تصريفه أومض يومض إيماضاً قالوا وفيه أصلية والخفو لمع البرق فى نواحى الغيم يقال خفا البرق يخفوا خفوا يشبهه بومض الضوء ولمع البرق وهـذا نهايه السرعة

(٢) الجوزاء نجم معروف وهو التوامان والأرساغ جمع رسغ وهو مفصل مابين الحافر والوظيف من كل دابة والنجم وهو الثريا وبدا ظهر وهو غير مهموز ويقول إن هذا الفرس أغر محجل

(٣) هما يشير إلى صاحبيه اللذين تقدم ذكرهما فى صدر المقصورة بقوله

وصاحبى صارم فى متنه مثل مدب النمل يعلو فى الربى

وهما السيف والفرس والعتاد ما يتخذه عدة للدهر ويهيؤ بحضرة من يتخذه يقال عند الشيء يعتد فهو عتيد إذا حضر قال الله جل ذكره (مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) والكافى المغنى فليناً أى فليبعد من نأى إذا بعد يقول إنهما يغنيانى عمن اتخذته لى عدة ودريئة فسيفى وفرسى عدتى التى غنيت بها عن كل أجد مفقرد متباعد ولست أريد معينا لى ومساعدا غيرهما ولا صاحبا

(٤) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا وقد يراد بالرحى التى يطحن عليها والقطب الحديدة أو الخشبة التى تدور عليها وأنشد

وَإِنْ رَأَيْتَ نَارَ حَرْبٍ تَلَظَّى فَاعْلَمْ بِأَنِّى مُسْعِرٌ ذَاكَ اللَّظَى (١)
خَيْرُ النُّفُوسِ السَّائِلَاتُ جَهْرَةً عَلَى ظُبَاتِ الْمُرْهَفَاتِ وَالْقَنَا (٢)
إِنَّ الْعِرَاقَ لَمْ أُفَارِقْ أَهْلَهُ عَنْ شَنَآنٍ صَدَّنِى وَلَا قِلَى (٣)
وَلَا اطَّبَى عَيْنِىَ مُذْ فَارَقْتُهُمْ شَىْءٌ يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْ هَذَا الْوَرَى (٤)

قدرنا كما دارت على قطبها الرحى ودارت على هام الرجال الصفائح

يفخر بأنه فارس الميدان لا يعتمد على أحد غير نفسه

(١) تلتظى تشتعل ومسعود موقد واللظى اللهب وهذا فخر أيضاً بأنه لحبه للقتال ولشجاعته هو يشب نار الحرب مبتدئا فليس موقفه موقف المدافع وانما هو يسعرها ويوقدها لشدته وقوته وابائه الضم والاذلال

(٢) والسائلات جمع سائلة والمراد بها المرافة وانما المراد الدم وجهرة عيانا والظبات جمع ظبة وهى حد السيف والمرهفات السيوف الرقاق واحدها مرهف والقنا الرماح واحدها قناة يقول إن خير النفوس أى الدماء التى تسيل فى مواطن الحرب على ظبات السيوف والرماح وهذا كالدليل

(٣) العراق بلاد من عبادان الى الموصل طولا ومن القادسية الى حلوان عرضا وسميت العراق عراقا لأنها شاطىء دجلة والفرات ولم أفارق لم أزايل وأهله سكانه والشنآن البغض يقال شناء ان وشنآن وشناً وصدنى منعنى وصرفنى ويروى عن شناً أصدنى يقال صده وأصده بمعنى واحد قال الشاعر

أصد نشاص ذى القونين حتى تولى عارض الملك الهمام

والقلى البغض يقول اننى لم أفارق أهل العراق لا لبغض او عداوة

(٤) ولا اطبى . ولا دعا ولا استمال يروق يعجب والورى الخلق يقول ان عينى لم تقع فى الدنيا على انسان حسن الظاهر جماله يستهوى اللب

هُمُ الشَّناخِيبُ الْمُنِيفَاتُ الذُّرَى ... وَالنَّاسُ أَدْحَالُ سِوَاهُمْ وَهَوَى (١)
هُمُ الْبُحُورُ زَاخِرٌ آذِيُّهَا ... وَالنَّاسُ ضَحْضَاحٌ ثَعَابٌ وَأَوْضٌ (٢)
إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ... مِثْلًا فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخْزِ السَّفَا (٣)

ويستمل العين منذ فارقت العراق وأهله .

(١) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شخوب والمنيفات المرتفعات الطوال الشواهق والشواهق جمع شاهق وهو ما شهق من الجبال أى طال والذرى جمع ذروة وهى أعلى الجبل والأدحال جمع دحل وهى الحفير الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيق أعلاه وهوى أى لا يساوون شيئا يمدحهم بالرفعة على سائر الناس وأن الناس غيرهم ما بنى ساقط وذال أو مرتفع فارغ كالهواء

(٢) الزاخرات جمع زاخر والزاخر الماء الكثير الفائض يقال زخر البحر إذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه والآذى الموج جمعه أواذى . والضحضاح الماء القليل لا عمق له يكون الى الكعبين وأنصاف الساقين ؛ والثعاب جمع ثعب وهو الموضع المطمئن فى أعلى الجبل ليستنقع فيه ماء المطر والأضى جمع أضاة وهى الغدران الصغار يقول إنهم البحور الزاخرة الممتلئة التى تفيض على الأرض ومنها المطر والناس عداهم منكشفون لا أصل لهم كالماء الضحضاح القليل العور

(٣) أغضيت صبرت على المكروه أى أغمضت عينى وسددتها والاغضاء الصبر على المكروه والوخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة ؛ وقيل الوخز الشوك والسفا شوك البهمى يقول إننى لم أبصر فى حياتى مثلا لهم ولا نظيرا فاذا ادعت عينى أنها رأت لهم نظيرا حشيت عينى شوكا فأغمضت عليه ومرضت من شدة وإيجاعه

حَاشَا الْأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوفَدَا عَلَيَّ ظِلًّا مِن نعِيم قَدْ صَفَا (١)
هُمَا اللُّذَانِ عَمَّرَا لى جَانِبًا مِنَ الرَّجَاءِ كَانَ قِدْمًا قَدْ عَفَا (٢)
وَقَلَّدَانى مِنَّـة لَوْ قُرِنتْ بشكْرِ أَهْلِ الارْضِ عَنى مَا وَفى (٣)
بِعُشْرِ مِنَ مِعْشَارِهَا وَكَانَ كَالْ حَسْوَةِ فى آذِيِّ بحْر قَدْ طَمَى (٤)

(١) أرفدا أى أرسلا يقال ارفد فلان فلانا إذا أرسله وضفا أى كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس إذا اكثر وطال ونعم ضافيه أى كثيرة بعد أن وصف أهـــل العراق بما وصف من علوهم ورفقهم على الانام استثنى من غير أهل العراق الامير بن فقال حاشا هما أظلنى تعميمهما الصافى

(٢) عمرا أى أصلحا يقال عمر فلان منزله إذا أصلحه وسكنه ويروى بالغين المعجمه أى غطيا من قولهم غمرة المـاء أى غطاه ومعناه سترا ما تكشف من جوانى والجانب الناحيه وجمعه جوانب والرجاء بالمـد الامـــل . وقدما أى قديما وعفى أى درس يريد أنها قد أحييا ميت آماله التى كانت قد عفت ودرست وقنط من تحقيقها

(٣) قلدانى منة جعـــلاها فى عتق وهو موضع القلادة والمنة النعمة وجمعها منن وقرنت أى عدلت وقيست وقوله ما وفى أى ماقام بها ولا عدلها صـكوهم يقول ان منتهما التى قلدانى إياها عظيمة جدا بحيث لو قام أهل الارض عنى بشكرها لا قتضت شكر زائدا على شكر أهل الارض وهذا تمثيل لقصوره وعجزه عن شكر نعمتهم عليه

(٤) العشر جزء من عشرة أجزاء والمعشار كذلك وعشر المعشار هو جزء من مائة جـــزء والحسوة الجرعة مـا يشرب وهى للطائر وهى تعـد بالقطر فما عسى أن يأخذ فم الطائر من قطر المـاء والاذى الموج وطمى امتلأ وارتفع يبين أو شكـر أهل الارض لا ين بالمنة التى لها فى عنقه

إِنَّ ابْنَ مِيكَالَ الْأَمِيرَ انْتَاشَنِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كُنْتُ كَالشَّيْءِ اللَّقَا(١)

وَمَدَّ ضَبْعِيَّ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ

بَعْدِ انْقِبَاضِ الذَّرْعِ وَالْبَاعِ الْوَزَرْ(٢)

فحسب بل إن ذلك الشكر جميعه لا يفى حتى بعشر معشار هذه النعمة أى بجزء من مائة جزء منها ثم شبه الشكر بالنقطة الصغيرة من الماء يحسوها الطائر من بحر ذى موج مرتفع لعظم امتلائه بالماء

(١) ابن ميكال هو عبدالله بن محمد بن ميكال وميكال اسم أعجمى لاينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وهو فارسى من أمراء فارس وانتاشنى نعشى وقيل معناه تناولى وأخذنى مقربا اليه والعرب تقول الطبية تنوش الأراك وتتناشه أى تتناوله بفمها قال الله تبارك وتعالى (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أى وكيف لهم التناول من مكان بعيد ونشت الرجل نوشا أنلته خيرا والأراك شجر تستاك بعوده قال الشاعر

إذا هى لم تستك بعود أراكة تنخل واستاكت به عود أسحل

تنخل اصطفى واختير والأسحل أيضا شجر يستاك بعود واللقى الشىء المطروح الملقى يقال رجل لقى وقوم ألقاء وكل مايلقى ويطرح فهو لقى

يقول إن الأمير ابن ميكال عمه بخيره ورفع قدره وأسناه وبلغه الرتبة العالية السامية من بعد ما قد كان شيئا لا يؤبه له ولا يحس بوجوده ولا تعرف له قيمة كالشىء التافه المطروح فى الأرض لهوانه على أهله وعدم أكتراثهم به

(٢) المد البسط ضد الانقباض وضبعى عضدى والضبع وسط العضد وأبو العباس هو اسماعيل بن عبدالله بن ميكال فمدح الأب والابن وكان الابن تلميذ ابن دريد والذرع والذراع واحد والباع القامة ومنه الحديث

ذَاكَ الذِى مَا زَالَ يَسْمُو لِلْعُلَا ... بِفَعْلِهِ حَتى عَلا فَوقَ العُلا (١)

لَوْ كَانَ يَرقَى أَحَد بِجُودِهِ ... وَمَجْدِهِ إِلى السَّماءِ لارْتَقى (٢)

مَا إِنْ أَتَى بَحرٌ نَدَاهُ مُعتَفٍ ... عَلَى أُوارَى عَلَمٍ إِلا ارتَوى (٣)

نَفسى الفِداءُ لأَمِيرَىَّ وَمَنْ ... تَحْتَ السَّماءِ لأَمِيرَىَّ الفِدا (٤)

الذى جاء عن زمان الطرفان فان الماء سار على وجه الأرض سبعين باعا وعلى رموس الجبال سبعين ذراعا . والوزى . القصير يقال وجل وزى وامرأة وزاة يقول . إن عضدي قوى وذراعى طال وساعدى امتد بالأمير اسماعيل ابن عبد الله أبي العباس المكالى بعد أن كال منقبضا وعجزا وانكماشا

(١) ذاك إشارة إلى البعيد وقد يقصد الأب الممدوح بالبيت قبله ولكن لا مانع من انصرافه الى الأبن وأشار إلى تعظيمه بالبعد ويسمر يرتفع

(٢) يرقى . يرتفع ويعلو . والجود . الكرم . والمجد . معالى الأمور والفضائل يقول . إن جوده ومجده واسطتا الرقى والارتفاع إلى نهايات الرفعة والكمال

(٣) أتى قصد ويمم والندى الكرم والمعتفى صاحب العطاء والكرم والعافى من يعفو عن الآثام قال تعالى (والعافين عن الناس) وأوارى عم أى أعالى جبل ويروى يشكو أوارى عيم أى يشكو ظماً وعطشا ، وارتوى أصاب ريا بذهاب ظمئه يقول إن ساحة جوده وكرمه كالبحر لا يقصدها طالب متعطش إلا أصاب ريا . وعلى الرواية الأولى يقول ان نداه يبلغ الطالبين ولو كانوا بأعلى الجبال يريد أن بحر نداه خضم متلاطم الأمواج وكرمه كالموج يصيب به من يقطنون أعالى الجبال فضلا عن سون الأرض

(٤) العدا يمد ويقصر فمن قصره كتبه بالالف ومن العرب من يفتح فدى لك ويقصره والأبداء كيل التمر فعلى هذا يكون الواحد فدى ومنهم من يقول الفداء بفتح الفا . والمد للتمر المجموع ولغة رابعة فى الفدا يقال

هُمَا اللَّذَانِ أَثبَتَا لى أَمَلا قَدْ وَقَفَ اليَأْسُ بِهِ على شفَا[1]
تَلَافِيا العَيْشَ الَّذِى رَنَّقَهُ صَرْفُ الزَّمَانِ فَاسْتَسَاغَ وَصَفَا[2]

فذالك منى على الكثير معل عاف تقول فداً لك أبى وأنشد

مهلا فداً لك يافضاله أجره الرمح ولا تهاله

والسماء همزتها من واو والأصل سماو فكل وأورياء إذا دخلت بعد ألف طرفا انقلبت همزة والسماء هذه المرئية وهى سبع سموات خلقها الله عز وجل من دمان علا من الماء وبناها فسماها الله سماء ثم فتق تلك الواحدة فجعلها سبع سموات قال الله تعالى (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) وقال آخرون بل فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات وفدا معرب يقال أنا الفدا لك يقول إننى فداء لأميرى وكذلك كل من تحت السماء فداذ لاميرى

(١) هما يريد الاميرين ابنى ميكال اللذين مدحهما بالمقصورة أثبتا حقيقا وأوجدا بعد أن لم يكن أو أنعشا وأحييا الامل الميت الذى كان يقتله اليأس وذلك بما خولاه من نعمة وماجادا به عليه من عطاء والامل المراد والرجاء واليأس انقطاع الرجاء والشفا الحافة والحرف والطرف قال الله تعالى وكنتم على شفا حفره من النار فأنقذكم منها) يقول إن أملى لولاهما لقتله اليأس وألقاه شفا الهاوية والدمار

(٢) التلافى التدارك وقيل تلافياه أنياه على قصد والعيش ما به مادة الحياه والترنيق التكدير يقال رنق الماء أى كدره وهو من أسماء الأضداد فيقال رتقه أيضاً إذا صفاد ورفق الله قذاتك أى صفاها . وليس هذا هنا مراد وصرف الزمان أحواله وتقلباته على الانسان بالغير من سوء الى حسن ومن مرض الى صحة ومن فقر الى غنى وضعف الى قوة ومن تفرق الى اجتماع وأضطادها واستساغ سلس وانقاد فى الحلق

وَاجْرِ يَامَاءَ الحَيَالِى رَغَدًا فَاهْتَزَّ غُصْنًا بَعْدَ مَا كَانَ ذَوَى (١)

هُمَا اللَّذَانِ سَمَـوا بِنَاظِرِى

مِن بَعْدِ إِغْضَائِى عَلَى لَذْعِ القَذَى (٢)

وأصل ذلك من اللسوغ وهو ما تساغ به الغصة تعرض للآكل فى الحلق من شراب أو ماء يقال هذا شراب سائغ أى طيب وصفا خلص من كل مكدر والصفر ضو الكدر

تفول إن هذين الاميرين وجدا عيشى مرتقا وكدراً لا طاقة لى على استساغته وتحمله فتدار كانى ببرهما وكرمهما وعطفهما على بما جعلنى أستسيغ الحياة وخلص عينى من الكدورة قال الشاعر

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

جرى الماء ونحوه سال واندفع وتحذر والحيا الغيث والخصب والمطر القصور وقد يمد وانما سمى حياً لانه سبب الحياة وما دتها والرعد السعة فى العيش قال الله تعالى لآدم ولزوجه (وكلا منها رغداً حيث شئتما) واهتزت غصى أى طال واهتزت الارض اذ أنبتت وأصل الهز التحريك فكأنه يريد تحرك ليمتد ويطول قال الله تعالى (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت والغصن ماتشعب من ساق الشجرة دقاقها وغلاظها واقع وغصون وغصنة وأغصان والمراد بغصنه عوده وذوى البقل يذوى ذبل يقول ان النعمة الضافيه والسعادة والارزاق التى امتدت الى بسببهما كانت لى بمثابة نهر جار مملوء بماء الحياة أعاد الى جسمى رونقه وبهاءه بعد أن كان ذاويا ذابلا مضمحلا .

(٢) سما الشيء ارتفع وسمانه علاه ورفعه والناظر العين أو إنسانها والاغضاء اطباق العين أو مقاربته واللذع الحرقة يقال لذعته النار تلذعة اذا أحرقته والقذى مايقع فى العين يقال قذيت عينه قذى وقذيانا

لَازَالَ شُكْرِى لهمَا مُوَاسِلًا لَفَظِىَ أَوْ يَثْنَاقَنِى صَرْفُ المُنَا(١)
إِنَّ الأُولَى فَارَقْتُ مِنْ غَيْرِ قِلَى مَازَاغَ قَلْبِى عَنهمْ وَلَا هَفَا(٢)
لَكِنَّ لى عَزْماً إِذَا أُمْتَطَيْتُه لُمْبْهَم الأَمْرِ فَآهُ فَانْفَاى(٣)

إذا وقع فيها القذى وإنما يريد به المعنى الحسى لا القذى الحقيق يقول انها أحلانى موطن الكرامة ففتحنا أمام عينى الحياة والسعده بعد ما كنت أغض النظر على كل مؤلم مكروه شأن الضعيف الواهن .

(١) الشكر المكافأة وهو فعل لازم يتعدى بالحرف رشد قول الشاعر

شكرت بنى عوف فلم يتقبلوا رسولى ولم تنجح لديهم وسائل

ويروى نصحت بنى عوف ويقال شكرت بك كما يقال كفرت بك يعاقنى معناه يعوقنى ونصبه لأن المعنى حتى يعتاقنى واعتاقه الموت كاعتقاه وصرف المنا أراد المنايا ثم اجتزأ كما قال الشاعر

درس لمنا بمتالع فأبان أراد المنازل وإن أراد بالمنا القدر كتبه بالياء لأنه يقال منى الله لك كذا يمنيه والمنا الذى يوزن به بالالف وتثنيته متوان والمنا الحذا كحاذاه الامر للاسم يقال داوى المقارنة تمنا دار فلان أى تحاذبها يقول سأشكرهما مدة حياتى ويواصل لسانى شكرهما مدة تلفظه لايحول بينه وبين موصلة ذلك الشكر شىء الا صرف المنون

(٢) الاولى بمعنى الذين وفارقت صلته والعائد محذوف لطول الاسم بالصلة والاصل الذين فارقتهم والقلى البغض ومازاغ ماذال ومنه قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) أى لا تزلها عن الايمان ومعنى زاغ أيضا مال ومنه قوله تعالى (زاغ البصر) وهفا مال من الميلان أيضا ويكتب بالالف من هفا يهفو يقول إنى لم افارق أهل العراق عن بغضة وإن قلبى لايزال متعقا بهم لم يمل يزل متجها بكليته إليهم .

(٣) ويروى الخطب والعزم والعزيمة واحد قال الله تعالى (فاذا عزمت

وَلَوْ أَشَاءُ مَدَّ قُطْرَيْهِ الصَّبَا عَلَيَّ فِي ظِلِّ نَعِيمٍ وَغِنَى (١)

فتوكل على الله وامطيته ركبته ومبهم الخطب الأمر المستغلق لا يهتدى لفتحه وفآه أى شقه وفتحه يقال للشق بين الجبلين الفآءة ويقال ضربته بالسيف على رأسه ففآه أى شقة نصفين وفاوت رأسه فانفأى اتى انفعل منه وانفأى يكتب بالياء بعد الهمزة يقول إن له عزما قويا إذا جردته لأمر مبهم أو صحة وبين مناهجة ومعالمة

أشاء على زنة أفعل والاصل أشيأ فانقلبت الياء ألفا ومدت لمجيء الهمزة بعدها فالمصدر شئت اشأ شيئا وشيئه فأنا شائ والطران الطرفان والناميتان القتر مثله والصبا مصـــدر صبوت صبا وصبوت صبا بفتح الصاد والمدفأ ما الصبا بغير مد فالريح وسمى الصبي صبيا لأنه يصبو الى كل لعب . والصابئون قوم لادين لهم يصبون من دين الى دين وقيل يعبدون الملائكة وقيل قوم بين اليهود والنصارى يكون بجزيرة الموصل وغنى يكسر الغين مقصور ضد الفقر يكتب لياء غنينا غنى بكسر الغين فاذا مددت فهو هذا الغناء المعروف

تغن بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لاغنى الا غنى النفس وقال رؤية مابي غنى عنك وان غنيت قال الفراء وان اضطر شاعر فمد غنى النفس ضد الفقراء وأنشد

سيغنيني الذى أغناك عنى فلا فقر يدوم ولا غناء

وأنشد الأسمعى فى القصر

وما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيـل

يعيـل يفتقر قال الله تعـالى (فان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) حدثنـا أبوعمرو عن ابن الأعرابى قال الغناء بالمداسم موضع وقال ابن دريد الغناء بالمد والكسر رمـل معروف وأنشدنا جميعا

وَلَاعَبَتْنِى غَادَةٌ وَهْنَـــانة تَّضْنِى وَفِى ترْشَافِهَا بُرْءُ الضَّنَا (١)
فِى خَدِّهَا رَوْضٌ مِنَ الْوَرْدِ عَلَى الـ نَّسْرَيْنِ بالحاظِ مِنْهَا يُجْتَنَى (٢)
لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لانْحَطَّ لهـــا
طَوْعُ القِيَادِ القِيادِ مِنْ شَمَارِيخِ الذُّرَى (٣)

بخرجن عن رمل الغنا الأعين شهرين ما فى السر من طفل البغا

أى من إبطا فأما الغناء فممدود بفتح الغين فمن قولك ما عند فلان غناء أى كفاية

(١) الغادة الغيداء المرأة تتثنى لينا ونعمه) الوهنانة المزاحة الضحاكة وتضنى أى تسقم عاشقها إذا تاعدت . وتبرىء بريقها وامقها . والضنى : يكتب بالياء من ضنى يضنى والترشاف التفعال من رشف ويقال رشف يرشف إذا مص رضاب جاريته والبر تكتبه بغير واو لين والهمزة إذا تطرفت وسكن ما قبلها لم تصور خطا وهو مصدر برأ يبرأ برءاً فهو بارىء وبرأ لغة وبريت من الدين بالياء أيضا ويريت القلم أبريه وحكى ابن بروت القلم أبروه وأبريت الناقة أبريها جعلت فى أنفها البرة . ويروى تصبى وفى ترشافها برء الصبا . وكلاهما وجيه .

(٢) النسرين النور الأبيض والألحاظ النظرات جمع لحظة ويجتنى يقتطف .

(٣) ناجت تكلمت والأعصم لو عل الذى فى إحدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسمى وعلا للبياض الذى فى أظلافه والأظلاف جمع ظلف هو الخلف الذى يكتنف رجل الطيبة واتحط أنزل والقياد التذليل والشماريخ رؤوس الجبال واحدها شمراخ والذرى أعالى الجبال واحدها ذروة . يقول إنها لجمالها تستنزل الأوعال من أعلى الجبال أى أن لجمالها جاذبية ساحرة الألباب تأسرها يصفها بحسن الصوت أيضا

أَوْصَابَتِ القَانِتَ فِي مَخْلُوقٍ ... مُسْتَعْصَبِ المَسْلَكِ وَعْرِ المُرْتَقَى (١)
أَلْهَاهُ عَنْ تَسْبِيحِهِ وَدِينِهِ ... تَأْنِيسُهَا حَتَّى تَرَاهُ قَدْ صَبَا (٢)
كَأَنَّمَا الصَّهْبَاءُ مَقْطُوبٌ بِهَا ... مَاءُ جَنًى وَرْدٍ إِذَا اللَّيْلُ عَسَا (٣)

يصف الغادة الوهنانة التى لا عبته ولهث معه بأن وجهها روضة حسن جمعت بين جمال الورد ونضرته ولونه الأحمر وبياض النسرين غير أن جناها يؤخذ بلحظ العين ورقته لا يقطف باليد.

(١) صابت وافقت . وافقته يقال صاب السهم وأصاب إذا وقع فى الرمية وصادفها ، وصاب السحاب الموضع واصابه إذا أمطره ، والقانت القائم بالعباد المطيع لله الزاهد فيما يرغب الناس فيه من الدنيا ، قال الله عزوجل (كل له قانتون) أى مطيعون ، و(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله) أى مطيع ومتعبد وارتياده سلوكه ، والمخلوق الجبل الأملس الطويل . الذى لا نبات فيه ، والمستصعب أى الصعب ارتياده وسلوكه ، والمسلك الطريق الذى يسلك فيه أى يدخل ويمشى ، والمرتقى المصعد وهو يرتقى اليه والوعر الصعب . أى لو عرضت الى متعبد انقطع عن الناس وزهد فى الدنيا وزخارفها وسكن فى مفازات الجبال الصعبة التى لا يستطاع الوصول اليها تقشفا وزهدا بعيدا عن العمران

(٢) ألهاه شغله والتسبيح التنزيه لله عز وجل وهو التبرئة من كل ذم وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة يقال سبحت أى صليت ، ودينه أى طاعته وتأنيسها أنسها وحديثا ، وقوله حتى تراه قدصبا أى قد لها وفعل فعل الصبيان ، وصبا يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو . يقول إنه لشدة ما يؤنسه من وجهها الجميل وسماع مناجاتها الحلوة العذبه لا ينصرف عن عبادته وتسبيحه فحسب بل يصبو اليها ويفتتن بها

(٣)الصهباء الخمر سميت بذلك لصهوبة لونها ، والمقطوب الممزوج وكذلك

يمتاحه راشف برد ريقها بين بياض الظلم منها واللمى (١)
سقى العقيق فالحزيز فالملا إلى النحيت فالقريات الدنا (٢)
فالمربد الأعلى الذى تلقى به مصارع الأسد بألحاظ المها (٣)

المشوب بمعنى واحد وماء جنى ورد أى ماء جنى من الورد أى قطف الجنى اسم ما جنى وعسا الليل أظلم ويروى غسا بالغين المعجمة ومعناها واحد يقول إن ريقنا خمر مزجت بماء الورد المجتنى ليلا حيث النسيم عليل صاف بالغ النهاية فى الرقة واللطف والصفاء

(١) يمتاحه يستقيه والممتاح الذى يغرف بيديه من أسل البئر إذا قل الماء والماتح بالتاء الذى يمد الحبل فى البئر ليستق والراشف المتناول الشراب بشفتيه وريقها لعابها والظلم بفتح الظاء بياض الأسنان حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد واللمى سمرة الشفتين يقال رجل ألمى وامرأة لمياء واللمى أيضا قلة اللحم والدم على اللثة والشنب برد ريقها وعذوبته يقول إن الذى يمتص وشفات ثغرها إنما يمتص الخمر الممزوجة بجنى الورد الغض النضير

(٢) العقيق موضع بالبصرة والعقيق أيضا موضع حول مكة على أميال منها والعقيق قرية بالمدينة والحزيز والملا والنحيت موضع بالبصرة رواحيها والقريات جمع قرية مصغر والدنا مادنا منها يدعو لهذه المواضع بالسقيا لتعظيمها عنده ومحبته لها ولأنها مساكن السادة البواسل الفحول أهل المجد والشرف .

(٣) المربد موضع بالبرة وهو سوق تجتمع فيه العرب وكان الأخفش سعيد بن مسعدة يقول المربد بفتح الميم وكسر الباء مثل المسجد على وزن مفعل ومصارع الأسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال فكنى عنهم بالأسد لشجاعتهم وأراد أنهم صرعوا بألحاظ المها أى قتلتهم ألحاظ

مَحَلٌّ كُلُّ مُقْرِمٍ سَمَتْ بِهِ مَآثِرُ الآبَاءِ فِي فَرْعِ الْعُلَا (١)

مِنَ الْأُولَى جَوْهَرُهُمْ إِذَا اعْتَزَوْا مِنْ جَوْهَرٍ مِنْهُ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى (٢)

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا جَنَّ الدُّجَى وَمَا جَرَتْ فِي فَلَكٍ شَمْسُ الضُّحَى (٣)

النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى بقر الوحش الواحدة مهاة فالألحاظ هى الفاعلة فى المعنى والألحاظ النظرات وكذلك يطلب السقيا للمريد الأعلى ويصف نساءه بالجمال ورجاله بالشجاعة والبسالة وبانه مجتمع أولئك وهؤلاء ومرتادهم وأن فيه الاماكن التى لاقى بها العاشقون حتفهم وصرعتهم أعين الغيد الحسان .

(١) المحل الموضع الذى يحله القوم للمقام فيه أى ينزل به القوم للإقامة والمقوم السيد الكريم وأصل المقوم فحل الابل وسمت به أى ارتفعت به والمآثر جمع مأثرة وهى الصنائع الحسنة والأفعال الرضية وفرع كل شىء أعلاه ومنه فرعت الجبل إذا علوته وفروع الشجرة أعالى أغصانها وافترعت المرأة افتضضتها وأصله إذا علوتها والأفرع طويل الشعر يقول إن هذه الاماكن السالفة هى مواطن الكرام الفحول الذين توارثوا الشرف والمجد عن آبائهم وسموا الى المعالى

(٢) من الأولى أى من القوم الاولين وجوهرهم أصلهم وجوهر كل شىء خالصه اذا اعتزوا أى اذا انتسبوا يقال اعتزيت الى فلان أى انتسبت اليه والمصطفى المختار يقول انك اذا أردت أن تنسبهم وجدتهم ينسبون إلى النبى المصطفى وهذا أبلغ الشرف .

(٣) جرت سارت وشمس الضحى تسمية للشمس بيض وقتها لأن اشراقها فيه يكون أتم يطلب من الله الصلاة على رسوله المختار أو يخبر بأن

جَوْنٌ أَعَارَتْهُ الجَنُوبُ جَانِبًا مِنْهَا وَوَاصَتْ صَوْبُهُ يَدُ الصَّبَا (١)

نَأَى يَمَانِيًا فَلَمَّا انْتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَامْتَدَّ كَسْرَاهُ غَطَا (٢)

فَجَلَّلَ الْأُفُقَ فَكُلُّ جَانِبٍ مِنْهَا كَأَنْ مِنْ قَطْرِهِ المُزْنُ جَبَّا (٣)

صلى عليه صلاة دائمة متلاحقة ماد م الزمنان الليل والنهار فاللهم صل وسلم ويالك عليه أبدا

(١) الجون من الاضداد أى يكون الأسود ويكون الأبيض . والجنوب بالريح القبلية تجىء بالمطر وواصت واصلت يقال واصاه وواصله بمعنى واحد والصوب نزول المطر يقال صاب يصوب صوبا والاسم الصيب ، قال الله تعالى (أو كصيب من السماء) والصبا الريح الشرقية وهذا استئناف لا علاقة له بما قبله إلا أنه دخول على مدحهم بالكرم والندى وأن لهم صفة الغيث والسحاب الممتلىء المرجحن بالماء تحمله إياه رياح الجنوب والصبا

(٢) نأى يمانيا أى طلع مبعداً من ناحية اليمن يريد الغيم وانتشرت أى كثرت وظهرت وأحضانه نواحيه وأصل الحضن مادون الإبط الى الكحح وكسراه تثنية كسر وهو طنب الخباء وانما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب وهو استعارة وانما يريد أن السحاب جرت على الارض أذيالها وغطا ارتفع وقيل انبسط يقال غطا الليل يغطو اذا انبسطت ظلمته يصف الجون الذى أمدته ريح الجنوب بمائها وأدامته رياح الصبا فأقبل من جهة اليمن فعم بأحضانه كل النواحى وانتشر فى الأرجاء والبطاح وامتدت أذياله وستر كل ماعلاه

(٣) جلل غطى ومنه سمى جل الفرس جلا لأنها تجلل به أى تغطى به والأفق الناحيةوجمعه آفاق وأطلق الأفق وأراد الآفاق لقوله فكل جانب منها ومن قطره أى من ناحيته وجمعه أقطار على رواية من رواه بضم القاف

وَطَبَّقَ الْأَرْضَ فَكُلُّ بُقْعَةٍ مِنهَا تَقُولُ الْغَيثُ فِى هَاتَا ثوى (٢)
إِذَا خَبَتْ بُرُوقُهُ عَنَّتْ لَهَا رِيحُ الصَّبَا تُشِبُّ مِنْهَا مَا خَبَا (٢)

والقطر جهة من جهات الأفق وعلى هذه الرواية يروى حباً بالباء بنقطة واحدة من أسفل ويكون معنى حبا امتد ودنا من الارض لثقله بالماء يريد السحاب ويروى كأن من قطره كان حيا بالياء المنقوطة بنقطتين من تحت وقطره بفتح القاف وتقديره غطى هذا السحاب الأفق فكل جانب من جوانب هذه المواضع وكأن من قطره أى من صوبه وحيا أى خصبا والمزن السحاب والواحدة مزنة وتصغيرها مزينة ، والقطر ، بفتح القاف الماء السائل متقطعا يقال منه قطر يقطر قطرا ، يقول ان هذا السحاب غطى الافق وستره حتى لم تبق جهة من الجهات والاقطار سيق الماء الماطر من كل جهة وجانب إلا حبا وامتد منها وسيق منها ذلك سحاب بل ان الناظر اليه ليرى أنه سيق وامتد من كل قطر

(١) وطبق الأرض ، غطى الأرض هذا السحاب فصار لها كالطبق فكل بقعة أى مكان ، هانا ، أى فى هذه البقعة وهو بمنزلة هذا للذكر ، وثوى ، أقام ، يقول كأنما مطر هذا السحاب جلل بقاع الأرض كلها وعمها وأصابها بوابل منه فكل مكان تراه ينطبق ويتحدث لغزارة جوده بأنه وحده الذى سوى فيه الغيث وأصابه وذلك لكثرة ريعان ارضه وامتداد ثمارها ووفرة زروعها وخصبها لارتوائها بالغيث وزيادته فيها .

(٢) خبت بروقه ، أى أطفئت وسكنت ، قال الله عزوجل (كلما خبت زدناهم سعيرا) وعنت ، عرضت ، ومنه قول امرىء القيس

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيل

تشب ، توقد ، يقول ان هذا السحاب يصاحبه رعد وبرق دائم كثير ، فاذا خبت البروق تعرضت لها ريح الصبا فأوقدت ما خبا من هذه البروق ، يريد أنه دائم المطر دائم لومض لانكف سماؤه عن الهطول ولا رعوده عن البروق

وَإِنْ وَنَتْ رُعُودُهُ حَدَا بِهَا رَاعِي الجَنُوبِ فَحَدَتْ كَمَا حَدَا (١)

كَأَنَّ فِي أَحْضَانِهِ وَبَرْكِهِ بَرْكًا تَدَاعَى بَيْنَ سَجْرٍ وَوَحَى (٢)

لَمْ تَرَ كَالْمُزْنِ سَوَامًا بِهَلَا تَحْسَبُهَا مَرْعِيَّةً وَهِيَ سُدَى (٣)

---

(١) وان ونت أى أضعفت وفترت ومنه قول الله جل ذكره (ولا تنيا فى ذكرى) أى لاتضعفا ولا تفترا وحدا بها أى ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذى يسوق الأبل الحادى سائق الابل برفع صوته وراءها بالغناء والراعى الذى يرعى الإبل أى يحفظها وسمى راعى الجنوب لأنه هو الذى يواليها ويرعاها بما تحتاجه والجنوب والريح القبلية فحدت ساقت كما حدا كماساق يقول إن الصبا وهى رياح الشرق والجنوب وهى الرياح القبلية يعاونان هذه السحب فالصبا تديم بروقه إن خبا وميضها والجنوب تتابع وعود وتحدو بهاإذا ونت عن الزئير وإنما صوت رعود هذه السحب كحداء الإبل هذه تتبع حداء الرعى وتلك تتبع حداء رياح الجنوب التى ترعاها أو أن هذه السحب تتبع سائقها

(٢) كأن فى أحضانه أى فى أحضان هذا الأفق فالضمير فى أحضانه عائد على الأفق وإن شئت كان عائدا على السحاب وهو أحسن وأحضانه نواحيه من أطرافه . والبرك الأول . الصدر . والبرك الثانى الابل . وتداعى أى تتداعى فحذف احدى التاءين والتداعى هوأن يدعو بعضها بعضاء والسجر الحنين والحنين طرب الناقة إلى ولدها وهو صوت شجى يقال حنت تحن حنينا والوحى الصوت يقول كأن هذه السحب المرعدة تضم بين نواحيها أو أعجازها وصدورها ابلا يدعو بعضها بعضا بأصوات عذبة مشجية تشبه أصوات الإبل عند الحنين وإنماهذا وصف للرعد وتشبيه لهبحنين الابل وأصواتها

(٣) المزن . السحاب . السوام . الابل الراعية والمسيم الراعى للإبل

تَقُولُ لِلأَجْرَازِ لِما اسْتَوْثَقت بِسَوْقِهِ ثِقِي بِرِيٍّ وَحَيَا (١)
فَأَوْسَعَ الأَحْدَابَ سَيْباً مُحْسِبًا وَطَبَّقَ الْبُطْنَانَ بِالمَاءِ الرَّوِى (٢)

السائمة يقال أسام الابل يسيمها إسامة وسوما قال الله عزوجل (فيه تسيمون) أى ترعون إبلكم والبهل التى لم تحلب فتركت ضروعها ملآى من ألبانها وقيل البهل المتروكة بغير راع وتحسبها مرعية أى محروسه والسدى المهملة التى لاراعى لها قال الله عز وجل (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) ويروى سواما هملا أى متروكة وكانت الحكمة تقتضيه أن يعكس فيقول تحسبها سدى وهى مرعية لأن المسير للسحاب هو الله تعالى يقول لم أر شيئا مثل السحب أقرب الى الابل السائمة الممتلئة ضروعها باللبن تركت بلاراع وأنت تظن أن لها راعيا يصرفها ويحسن خدمتها والقيام على أمرها والحق أنها مهملة

(١) الأجراز جمع جرز وهى الأرض الصلبة التى لم يصبها المطر وقيل هى الأرض المشققة التى لاتكاد تروى من الماء قال الله تبارك وتعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجوز) وجمعه أجراز واستوسقت أى حملت ما يكفيها من الماء والوسق الجمع قال الله عزوجل (والليل وماوسق) أى وما جمع من ظلمته قوله ثقى برى أى اطمئنى برى أى بشبع من الماء يقال شربت حتى رويت وقوله وحيا أى خصب وهو مقصور

(٢) الأحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ قال الله سبحانه (وهم من كل حدب ينسلون) والسيب العطاء والمحسب الكافى من قولك حسبنا الله أى كافينا الله وطبق غطى وستر والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض والروى الماء الكثير اذا كسر قصر واذا فتح مد

يقول ان هذا السحاب الكافى الغزير أصاب المرتفعات وعمها وملأ المنخفضات وأرواها بالماء الوفير الكثير المشبع

كَأَنما الْبَيْدَاءُ غِبَّ صَوْبِهِ بَحْرٌ طَمَا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَجَا (١)

ذَاكَ الْجِدَا لَازَال مَخْصُوصـــًا بِهِ

قَوْمٌ هُمُ لِلْأَرْضِ غَيْثٌ وَجَـــدَا (٢)

لَسْتُ إِذَا مَا بَهَظَتْنِى غَمْرَةٌ مِمَّنْ يَقُولُ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى (٣)

---

(١) البيداء القفر وهى الصحراء أيضا ، سميت بيداء لأنها تبيد سالكها وغب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظرف وهو من ظروف الزمان والصوب نزول المطر . وطما ارتفع تيار موجه وسجا سكن قال الله تعالى (والليل إذا سجى) أى سكن . يقول إنه لم يترك مكانا دون أن يصيبه بالمطر حتى الصحارى البيد فانها أصبحت بعد أن زارها المطر ووافاها غدقة كبحر لجى ترتفع أمواجه تارة ثم تسكن تارة أخرى

(٢) الجدا النائل والعطاء ، أو المطر العام الذى يغاث به الناس والدواب والأنعام. يقول إن هذا الجود الذى تحسبه مختصاً بالمطر ، لا يزال إلى الآن قوم مختصين به ، جعلهم الله سبحانه غيوث الأرض وغناها ومفرجى كرباتها

(٣) بهظتنى شقت على . يقال بهظنى الأمر أى شق على والغمرة الكربة والشدة وهى واحدة الغمرات . والزبى جمع زبية وهى حفرة تحفر الأسد فى المكان العالى من الأرض وليس يبلغا إلا سيل عظيم ، وهو مثل تضربه العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر ، ويروى بالراء ، وهو جمع ربوة والربوة ماارتفع من الأرض . وفى الحديث أن عثمان بن غفان رضى الله عنه لما عاين القتل وأيقن به كتب الى على بن أبى طالب رضى الله عنه . أما بعد ياأبا الحسن فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطبيين فاذا أتاك كتاب فأقبل الى ، على كنت أم لى ، ثم تمثل بيت المثقب العبدى وهو

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فأدركنى ولما أمزق

وَإِنْ ثَوَتْ تحتَ ضُلُوعِي زَفْرَةٌ
تَمْلَأُ مَابَيْنَ الرَّجَا إِلَى الرَّجَا (١)
نَهْنَهْتُهَا مَكْظُومَةً حَتَّى يُرَى مَخْضُوضِعًا مِنْهَا الَّذِي كَانَ طَغَى (٢)
وَلَا أَقُولُ إِنْ عَرَتْنِي نَكْبَةٌ
قَوْلَ القُنُوطِ أُنْقِدَّ فِي البَطْنِ السَّلَا (٣)

وهذا تخلص منه ودخول الى موضوع آخر هو التحدث عن صبره وجلده وأنه لايستعظم الحوادث يقول اننى إذا ماشق على الأمر العظيم وآذننى الكرب والشدائد لا أزعم أن هذه الشدة أو الكربة هى أشد الأنواع بلاء بل لا أفرق منها ولا أخافها وأستهين بها وبشدتها وألزم الصبر على المكاره

(١) ثوب أى أقامت والزفرة والزفير ترجع الصوت بالبكاء وهو يمتلىء القلب هما وغما والرجا مقصور الجانب

يقول حالى أننى إذا ملأت جنبات قلبى الهموم والغموم وعمت أرجاءه فى أقطاره جميعا فاننى قادر على تصريفها وتفريجها بحمتى الآتية

(٢) نهنهتها أى كففتها وزجرتها ومكظومة أى متجرعة من قولهم كظم غيظه إذا رده وحبسه قال الله عز وجل (والكاظمين الغيظ) والمخضوضع المتذلل من الخضوع وهو الذلة وطغى كثر قال الله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) أى فى السفينة وسميت جارية باسم لأنها جرت وقيل طغى تكبر وهو المناسب للمخضوضع

يقول اننى أزجر هذ الزفرات وأرغمها على الابتعاد منى حتى أن الهم العظيم الجارف والغم الطاغى المستبد يرى مستذلا خاضعا لايؤثر فى شيئا ولا يذهب بصبرى أو بغير شيئا من طبيعتى

(٣) عرتنى . واعترتنى واحد أى أصابتنى قال الله عز وجل (ان

قَدْ مَارَسَتْ مِنِى الْخُطُوبُ مَارِسًا يُسَاوِرُ الْهَوْلَ إِذَا الْهَوْلُ عَلَا (١)
لِى الْتِوَاءٌ إِنْ مُعَادِىَّ الْتَوَى وَلِى اسْتِوَاءٌ إِنَّ مُوَالِىَّ اسْتَوَى (٢)

نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) والنكبة المصيبة وجمعها نكبات والقنوط اليائس قال الله تعالى (لا تقنطوا من روح الله) أى لا تيأسوا . وانقد أى انقطع والسلا بفتح السين المشميه التى تتعلق بالولد وتسقط معه وهذا مثل تقول العرب إذا بلغ أحدهم فى الكرب غايته قال انقد فى البطن، السلا والسلا إذا انقد فى بطن المرأة هلكت .

يقول إننى كثير الاحتمال للنوائب التى تصيبنى لا أشكو ولا أقنط فأقول مقالة اليائس الذى يصيبه مصيبة فيقول انقد السلا فى بطنى جزعا وفرقا من الهلاك

(١) قد مارست أى عاركت وضاربت . والخطوب الأمور الشدائد واحدها خطب. والمارس الشديد وهو صفة ولعلها محرفة عن فارس فان المارس لم يرد بهذه الصيغة ويساور الهول يغالبه ويطاوله ويلاصقه ، قال الشاعر

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع

والهول الشدة وجمعه أهوال . وعلا ارتفع .

يقول ان الخطوب والأحداث عركتنى وعجمتنى فوجدتنى صلب العود فارساً شجاعا لا يتطرق اليأس إلى عزيمته ، ولا يعرف الخور والضعف سبيلا الى قلبه ، يتلقى الأهوال الفادحة بثبات ويغالبها ويغلبها وان الخطوب لتعرف ذلك فى ، لكثرة ما جرتنى

(٢) لى التواء أى انعواج والمعادى العدو والموالى الصديق الذى يواليه أى يصادقه واستوى اعتدل

يقول اننى أعامل الناس بالطرائق التى تلائمهم والتى يعاملوننى بها فأعوج مع أعدائى وأقسو عليهم , وأعتدل مع موالى وأصدقائى وألين لهم

طَعْمِيَ شَرْىٌ لِلْعَـــدُوِّ تَارَةً
وَالرَّاحُ وَالْأَرْىُ لِمَنْ وُدِّى ابْتَغَى (١)

لَدْن إِذا لُوِينْتُ سَهْلٌ مَعْطِفِى
أَلْوَى إِذا خُوشِنْتُ مَرْهُوبُ الشَّذَا (٢)

يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنْبَىْ حَبْوَتِى
إِذا رِيَاحُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالْحَبَى (٣)

---

(١) الطعم المذاق والشرى الحنظل وتارة حينا والأرى العسل والأبيض والراح الخمر والود الوداد والمودة المحبة وابتغى طلب قال الله جل ذكره (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون)

يقول إن طعمى مر المذاق لاعدائى حين يرمون ضرى والايقاع بى وهو كالراح والعسل للذين يبتغون ودى ويطلبون عطفى ومصافاتى

(٢) اللدن اللسين الرطب ومعطفى أى رجوعى ولو بنت أخذت باللين وضده خوشنت أى أخذت بالخشونة وهى الصعوبة وألوى شديد الخصومة وخوشنت صورعت ومرهوب مخوف ومنه قوله جل ذكره (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى خوفا والشذا الحدة مقصور ويل الشذا الاذى وكتابته بالالف يقول إننى لمن يلاينى منقادله ومتابع وإذا غضبت منه فانى مع النزول عن سهل الانعطاف أما إذا عوملت بخشونة فانى أكون خصما شديداً تخاف شدته وترهب

(يعتصم أى يتعلق ويتمسك بجنبى أى بناحيتى والحبوة شد الارزا على الركبتين والظهر ولا يعرف الاحتباء إلا للعرب والهند يقال احتبى الرجل إذا اشتمل بردائه فى وسطه وقيـــل الحبوة أيضا أن يضم الانسان نفسه قاعدا بثوبه أو بيده والحبى جمع حبوة مثل كدية وكدى والطيش خفة العقل

لَا يَطبنى طَمَعٌ مُـــدَنَّسٌ إِذَا اسْتَمَالَ طَمَعٌ أَوطَّى (١)
وَقَـدْ عَلَتْ بِى رُتَبًا تجَارِبِى أَشْفَيْنَ بِى مِنهَا عَلَى سُبُلِ النُّهَى (٢)
إِنِ امْرُؤٌ خِيفَ لِإِفْرَاطِ الْأَذَى لَمْ يُخْشَ مِنِّى نَزَقٌ وَلَا أَذَى (٣)

يقال طاش السهم يطيشون طيشا إذا خف ولم يقصد الغرض ومنه قول الشاعر

لو كان لى قرن أضله ماطش عنـد حفيظة سهمى

يقول اننى أحلم جدا عند الأزمات التى تطهير بالصواب وتقيم الناس وتقعدهم وتوقعهم فى هرج ومرج حتى كأن الحلم يلزمنى ويجانبنى جنبا الى جنب

(١) لا يطبينى: أى لا يستميلنى ويدعونى . والطمع الحرص والرغبة ومدنس موسخ والدنس الوسخ إذا استمال قاد وجذب يقول إذا برقت العيون للأموال ولعبت بالعقول الاطماع فانى لا أميل الى الطمع الشديد الاغراء لأن الطمع يدنس المروءة ويشين أصحاب الفضل

(٢) قد علت أى ارتفعت ورتبا منازل ودرجات وهى جمع رتبة والتجارب جمع تجربة وهى الاختيار تقول جربت الرجل إذا اختبرته فهو مجرب أى مختبر وأشفين بى أى أشرفن بى يقال أشفيت على الشىء إذا أشرفت عليه وانتهيت إلى صرف منه وقيل معنى أشفين بلغن بى الشفا أى الغاية وقيل معنى أشفين بى عرفتنى ، وكل هذه المعانى متقاربة والسبل الطرق واحدها سبيل والنهى العقول قال الله تعالى (ان فى ذلك لآيات لأولى النهى) يريد أنه جرب الامور بتجارب كثيرة فارتفعت به إلى مراتب عالية ووقفت به عند الغايات التى يصبو اليها العقلاء يقول إن تجاربى للحياة واختيارى للناس رفعتنى عنهم وعلت بى إلى رتب سامية بلغت نهايات سبل الرتب العالية

(٣) الافراط . أن يبلغ الأمر فوق حده . والمبالغة فى الشىء وان شئت قلت الافراط العجلة والنزق الخفة يقول إن كان الناس يفرقون من شدة

مِنْ غَيْرِ مَا وَهْنٍ وَلَكِنِّي امْرُؤٌ أَصُونُ عِرْضًا لَمْ يُدَنِّسْهُ الطَّخَا (١)

وَصَوْنُ عِرْضِ الْمَرْءِ أَنْ يَبْذُلَ مَا ضَنَّ بِهِ مِمَّا حَوَاهُ وَانْتَصَى (٢)

وَالْحَمْدُ خَيْرُ مَا اتَّخَذْتَ عُدَّةً وَأَنْفَسُ الْأَذْخَارِ مِنْ بَعْدِ التُّقَى (٣)

الايذاء ويخافون : فانهم لايخافون منى خفة وطيشا ولايخشون أن ينالهم أذى منى بادىء بدء فانى وان أكن مرهوب الجانب فلا أسىء لمن لم يقصد إساءتى ولا أبتديه بالشر من غير ضعف منى

(١) الوهن : الضعف قال الله العزيز (إنى وهن العظم منى) أى ضعف ولم يدنسه : لم يوسخه. والطخا : العيب ويقال الحبل . أصون . أحفظ والصيانة الحفظ ، والطخا ممدود فقصره . يقول إن عدم تعرضى لأذى الناس وعدم خشيتهم الأذى منى ليس لضعف فى ولا خور ، ولكنى أحافظ على شرفى وعرضى المصون .

(٢) الصون: الحفظ .أن يبذل ماضن به أى بخل به، وحواه: جمعه. وإن شئت قلت حازه وملكه وانتصى اختار يقال انتقاه ينتقيه واجتباه يجتبيه واعتماد يعتميه وفيه لغة أخرى اعتامه قال الشاعر

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

يقول : إن حفظ الأعراض وصيانتها لايكون بغير الجود وبذل مايحويه ويملكه من كرائم المال المضنون بها ـ يصف نفسه بالكرم والجود

(٣) اتخذت أى اكتسبت وعدة عمدة وأنفس اعلا وأغلا وأرفع والأذخار : جمع ذخر وهو المرفوع يقال ذخرت الشىء أى رفعته وخبأته ومنه قولهم أنت ذخيرتى للدهر . والتقى مخافة الله عز وجل يقول إن حمد الناس وشكرهم وثناءهم عليك خير عدة وردية تتخذها لشدتك ولآخرتك وتتقى بها عذاب الله وذلك أنفس ذخر بعد تقوى الله سبحانه وتعالى

وَكُلُّ قَرَنٍ نَاجِمٍ فِي زَمَنٍ فَهُوَ شَبِيهُ زَمَنٍ فِيهِ بَدَا (١)

وَالنَّاسُ كَالنَّبْتِ فَمِنْهُمْ رَائِقٌ غَضٌّ نَضِيرٌ عُودُهُ مُرُّ الجَنَى (٢)

---

(١) يقول . كل قرن : أى كل أمة فالقرن بالفتح الأمة وناجم: مرتفع يقال نجم الشيء إذا طلع وارتفع . وقوله فهو شبيه زمن فيه بدا : أى كل أمة طلعت فى زمان فتلك الأمة مشبهة للزمان الذى نجمت فيه أى نشأت فيه ، وهذا مأخوذ من الحديث الذى ورد « الناس بأزمان أشبه منهم بآبائهم » والقرن فى غير هذا الموضع الوقت من الزمان وزعم قوم أنه أربعون سنة وزعم قوم أنه ثمانون سنة وقال قوم هو مائة سنة ، واختار بعض أهل اللغة هذا لما جاء وصح فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم مسح بيده على رأس غلام ثم قال له عش قرنا فعاش مائة سنة . وروى كل قرن بكسر القاف وهو النظير والتقدير وكل رجل نشأ فى زمان فهو شبيه بالزمان الذى نشأ فيه لأن الرفيع لا يرتفع إلا فى الزمان الرفيع والساقط لا يرتفع إلا فى الزمان الساقط ، وبدا : بغير همز ظهر . يقول إن أهل كل قرن وعصر يشبهون العصر الذى عاشوا فيه لأن الزمن يوصف بما عليه أمله من فساد أو صلاح . قال :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

(٢) النبت والنبات واحد وهو ما نبت أى خرج من الأرض فمنه . رائق أى معجب . والغض . الطرى الأخضر الناعم . وكذلك النضير أيضا قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة) أى ناعمة ، والجنى . ما اجتنى من الثمر أى قطف وهو مفتوح الجيم مقصور . يضرب للناس مثلا بالنبات وأنواعه ترى نوعا منه بهيجا غضا نضيرا إذا ذقت طعمه وجدته مرا ويظهر هذا فى أنواع الورود فان زهرتها تكون نضيرة اللون مشرقة الحسن وشجرة الحنظل فان ثمرتها تسر العين بخضرتها وتعجبها باستدارتها مع شدة مرارتها .

وَمِنْهُ مَا تَقْتَحِمُ الْعَيْنُ فَإِنْ ذُقْتَ جَنَاهُ انْسَاغَ عَذْبًا فِى اللَّهَا (١)

يُقَوَّمُ الشَّارِخُ مِنْ زَيْغَانِهِ فَيَسْتَوِى مَا انْعَاجَ مِنْهُ وَانْحَنَى (٢)

وَالشَّيْخُ إِنْ قَوَّمْتَهُ مِنْ زَيْغِهِ لَمْ يُقِمِ التَّثْقِيفُ مِنْهُ مَا الْتَوَى (٣)

كَذَلِكَ الْغُصْنُ يَسِيرٌ عَطْفُهُ لَدْنًا شَدِيدٌ غَمْزُهُ إِذَا عَسَا (٤)

---

(١) تقتحم العين : أى تتركه كرها له وتعدوه إلى غيره . فان ذقت جناه : أى ما اجتنى منه . . انساغ : أى سهل بلعه ، عذبا : أى حلوا . واللها : بفتح اللام جمع لهاة وهى اللحمة المتعلقة بأصل الحنك ، واللهى بالضم جمع لهوة وهى المال والعطية والأصل فى اللهوة بالضم ما يجعله الطاحن فى فم الرحى ليطحن الواحدة لهوة ولهية . أى ومن النبات نبات تزدريه عينك ولا يروقك منظره ولا يعجبك شكله ليس له نصرة ولا حسن باهر ولكن طعمه جميل ، وهذا يتحقق فى العنب والفرصاد والشليك .

(٢) الشارخ : الشاب الحدث المستقبل للشباب ، وشرخ للشباب أوله . زيغانه . بالزاى والغين ميله يقال زاغ إذا مال يزيغ زيغا قال الله جل ذكره (وإذا زاغت الأبصار) أى مالت . وقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وانعاج . انعطف . وانحنى : مثله . يقول إن التربية والتعليم لا يصلحان ويثمران إلا فى عهد الشوبية والحداثة .

(٣) قوله من زيغه : أى من ميله . لم يقم . لم يعدل ولم يقوم . التثقيف التقويم . وما التوى . أى ما تعوج . يقول إن التربية والتثقيف فى زمن الشيخوخة لا تفيد ولا تنفع ولا تقيم المعوج وتصلح الزائغ .

(٤) كذلك الغصن : أى الفرع . ويسير : سهل . وعطفه : رده . واللدن : اللين . والغمز هنا : اللمس باليدين ، والتقويم . وعسا . صلب . ويروى عتابتا بنقطتين من فوق ومعناه أيضا صلب . رجع إلى تشبيه الناس بالنبات فان

مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِبَاهُ وَاحْتَمَى (١)

وَهُمْ لِمَنْ لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ أَظْلَمُ مِنْ حَيَّاتِ أَنْبَاثِ السَّفَا (٢)

الغصون المعوجة تكون سهلة الانعاف والرجوع عن الميل وهى ناشئة غضة طرية فاذا صليت واشتدت لم يمكن عطفها إلا بشدة .

(١) ظلم الناس : تعدى عليهم وأضر بهم وأصل الظلم وضع الشيء فى غير محله وزعم قوم أن الظلم إنما هو أخذ الانسان ما ليس له ، ومنه قولهم من شابه أباه فما ظلم ، أى من كان على مثال أبيه فى حليته أو قوله أوفعله فما تعدى الحق ولا أتى بظلم ، لأن الخروج عن الطبع ليس فى قوته ولا استطاعته وهو إن أتى بظلم فانه ليس بملوم وإنما الملوم أبوه الذى ورثه تلك الفعلات لما وضع الشبه فيما له ، وهذا يرجع إلى ما قلناه إنه وضع الشيء فى غير موضعه ، لأنه إذا أخذ ما ليس له فقدوضع الشيء فى غير موضعه وتحاموا ظلمه : تباعدو عنه وامتنعوا منه . وعز عنهم : امتنع عنهم ؛ والعزة القوة ، والشدة : ومنه قولهم إذا عز أخوك فهن ، ومنه قول الله عز وجل (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى الخطاب ، ونحوه قوله جل ذكره (ليخرجن الأعز منها الأذل) أى ليخرجن القوى منها الضعيف وجانبه ناحيته . واحتمى : امتنع . يقول : إن الناس لا يترفعون عن الظلم ويتحامون عنه إلا إذا ظلمتهم ولا تصبح عزيزاً لديهم مرهوب الجانب إلا إذا أخفتهم .

(٢) ولان : ضعف وسهل . والانباث : التراب المستخرج من البئر ، يقال نبث ينبث إذا حفر واسم الفاعل نابث ونباث مبالغة قال الشاعر :

يهيل ويذرى تربها ويثيره إثارة نباث الهواجر مخمس

أى مستخرج للتراب . والسفا : هنا التراب ، وهو ما تسفيه الريح أى تحمله وترمى به ، وقيل السفا تراب القبر ، والسفا فى غير هذا شوك البهمى وشوك السنبل . يقول إن طبيعة الناس أنهم شديدوا الظلم لمن لا ينهم وكانت معاملته لهم بالحسنى وإنهم لنى معاملتهم للين لأشد ظلما من الحيات التى تسكن

عَبيدُ ذِى المَالِ وَإِنْ لَمْ يَطْمَعُوا مِنْ غَمْرِهِ فِى جَرْعَةٍ تَشْفِى الصَّدَا(١)

الحفر والأماكن التربة ، إذ أن هذه الحيات لا تصادف شيئا تمر به إلا أصابته بسمها فمات . أقول إننى صادفت فى مسكن لى كثير العفر والتراب شيئا من هذه الصلال ثعبانا أو حية حاولت قتله فاختفى وأنا أبحث عن هراوة أو مشبهها فلم يقر لى قرار خوفا على نفسى وصغارى ، ثم ذكرت قول العامة إنها لا تؤذى ما لم تؤذ ، فتركتها فصرت بعد ذلك أحس دبيبها وأسمع صفيرها فأتركها وشأنها وهى لم تؤذنى والحمد لله ولا أعلم ما الله فاعله ، ولولا مشكلة المساكن وعزتها فى هذه السنين لتركت هذا البيت .

(١) الغمر : الماء الكثير الذى يغطى من دخله ، وهو ههنا العطاء ، يقال غمر أى واسع الخلق كثير العطاء . والجرعة : القليل من الماء مثل الحسوة وتشفى تبرى . والصدا . العطش وهو مصدر صدى يصدى صدى . يقول إن الناس يتبعون ذا الغنى كأنهم عبدان له وخول ، حتى ولو كان بخيلا ممسكا لا يرجى من وراء ماله الكثير جرعة تروى صاديهم وتشفى ظامئهم ، وانى وأيم الله رأيت بعض العلماء ليلتى هذه الأولى من رجب سنة ١٣٧٠ هجرية فى حضرة فظ جاهل ولكنه غنى وهو مع ذلك بخيل شديد الامساك يملك متجراً فى أحسن بقعة من بقع القاهرة دعيت إلى حضرته مرتين ما رأيته فيهما بل لهاة واحد من جلساته ، ثم رأيته يتطاول على العلماء منهم بلسانه ويبالغ فى تسفيههم والحط من كرامتهم بجارح القول وبذيئه ، يقرأ القرآن فلا يساعده جهله على أدائه بدون لحن وهو مع عاميته يؤول فى القرآن ويفسر معانيه وأبى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأنها سمجة فى نظره ويقول أستعذ بالله (كذا) لخفتها على اللسان ولأن الله يقول فاستعذ بالله . أما أعوذ بالله فى نظره فانها مثل قل أعوذ . مد بوزو . فى الخزانا . كل غدانا . من ورانا ولقد حاولت زجره فلم ينزجر ، وأردت تقويمه فازداد عوجا ، جلست وأنا أعجب منه وعجبى من هؤلاء العلماء أشد ، وإذا هذا التطاول اللسانى يزيد إلى

وَهُمْ لَمَنْ أَمْلَقَ أَعْدَاءٌ وَإِنَّ شَارَكَهُمْ فِيمَا أَفَادَ وَحَوَى (١)
عَاجَمْتُ أَيَّامِي وَمَا الغِرُّ كَمَنْ تَأَزَّرَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَارْتَدَى (٢)
لَا يَرْفَعُ اللُّبُّ بِلَا جَدٍّ وَلَا يَحُطُّكَ الجَهْلُ إِذَا الجَدُّ عَلَا (٣)

تطاول بالعصا ، فعند ذلك قلت للجاهلين سلاما ، وخلت مجلسه جهنم عذابها كان غراما فرحم الله ابن دريد فكأنما عنى علماء عصرنا هذا وناسه بهذا البيت.

(١) أملق افتقر والاملاق الفقر قال الله عزوجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) اى فقر ومنه رجل مملق أى فقير ، وكذلك مخفق وصعلوك ومقتر ومصرم والمصرم الذى ذهبت إبله ورجل سبروت أيضا وامرأة سبروتة وسبرية وقوم سباريت وكذلك قرضوب وقرضاب أى فقرا . وأقاد اكتسب يقال أفاد الرجل مالا إذا كسبه وحوى ملك وجمع يقول إن معاملة الناس للفقير المملق على النقيض من معاملتهم للغنى فهم يعادونه ويفرون من مساعدته ومجالسته . ولو تمسك بعرى الجود . وقاسمهم مالديه من كل موجود

(٢) عاجمت أيامى أى ماضغتها يقال مضغتنى ومضغتها وعركتنى وعركتها والغر الذى لم يجرب الأمور وتأزر من الازار كأنه يريد أنه جرب الدهر حلوه ومره فكأن الدهر تقلب عليه بأحواله حلوها ومرها يقول انى رجل مجرب ذقت حلو الدهر ومره . وبلوت يسره وعسره . وصادفت خيره وشره . فأنا أعلم بدهرى وأيامه وصروفه وأحداثه لأن الدهر ألبسنى منها أثوابا وكسانى من أحداثه أردية ومايستوى المجرب وغير المجرب . كما لايستوى العالم وغير العالم . وهو إنما يفهمك أنه مجرب ليحملك على العمل بوصاياه الآتية ويقنعك بضرورة تصديقها والإفادة منها

(٣) لايرفع اللب : هو من الرفعة أى لاتعلو منزلته ، ويروى لاينفع من النفع الذى هو ضد الضر ، واللب : العقل وجمعه ألباب ، والجد : بالفتح الحظ

مَنْ لَمْ يَعِظْهُ الدَّهْرُ لَمْ يَنفَعْه مَا ... رَاحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ غَدَا (١)

مَنْ لَمْ تُفِدْهُ عِبَرًا أَيَّامُهُ ... كَانَ العَمى أَوْلَى بِهِ مِنَ الهُدَى (٢)

مَنَ قَاسَ مَالَم يَرَهُ بِمَا يَرَى ... أَرَاهُ مَا يَدْنُوا إِلَيْهِ مَا نَأَى (٣)

والبخت. ولايحطك الجهل. أى لاينزلك ولايسفلك، ويروى ولايحبطك الجهل أى لايبطل حظك ولايسقط رفعتك، ومنه قوله جل ذكره (وأحبط أعمالهم) أى أبطلها. إذا الجد علا: أى إذا السعد ارتفع يقول إن الجد وهو الحظ والنصيب هو المعول عليه فى كل مايصيبك من خير أوشرفان كنت لبيبا فانك لن تدرك الشأو الذى ترومه إذ الم يصحبك الجد. وإن كنت خاهلا حاملا وواتاك حظك ارتفع ذكرك ونبه أمرك وعلاصيتك ولله در الشاعر إذ يقول

لا تطلبن بآلة لك رتبة ... قلم البليغ بغير جد مغزل

سكر السما كان السماء كلاهما ... هذا له رمح وهذا اغزل

يريد السماك الرامح والسماك الأعزل وهما منزلتان فى السماء من منازل القمر فان كلا من السماكين سكن السماء ولم ترفع الرامح آلته ولا رمحه ولم يخفض الأعزل كونه بلا رمح فقد بلغا هذه المنزلة بحظهما لا بآلتهما.

(١) من لم يعظه الدهر: أى من لم يبصره. وراح: أتى با. لعشى واغتدى: أتى بالغدو. يقول إن مواعظ الواعظين التى يكررونها على الأسماع ليل نهار وصباح مساء وغدوة وعشيا لاتنفع الناس شيئا ولاتجعلهم يفيدون منها بخلاف موعظة الدهر وتعاليمه فانها أثبت وأنجع وأفعل فى النفوس

(٢) من لم تفده: أى تكسبه مأخوذ من أفاد يفيد إذا أكسب. والعبر. جمع عبرة وهى التذكرة. والعمى: هنا عمى القلب وهو انطماس ذكائه. والهدى القصد إلى الصواب يقول إذا كانت الأيام الممتلئة بالعبر والحوادث البليغة لاتفيد رؤيتها الشخص، فلاقيمة لعينيه اللتين يرى بهما الحادثات والفاجعات ولا لقلبه وسمعه وإذا لم يتقدم للخير بها ويسترشد فانه سيزداد ضلالا.

(٣) : قاس. من مثل والقياس فى اللغة التمثيل. وحـــده عند الأصوليين

مَنْ مَلَّكَ الْحِرْصَ الْقِيَادَ لَمْ يَزَلْ يَكْرَعُ فِي مَاءٍ مِنَ الذُّلِّ صَرَى (١)
مَنْ عَارَضَ الْأَطْمَاعَ بِالْيَأْسِ رَنَتْ إِلَيْهِ عَيْنُ الْعِزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَا (٢)

حمل أحد المعلومين على الآخر بمعنى يجمع بينهما ، وقيل : ردفرع إلى أصل فى بعض الأحكام بمعنى يجمع بينهما ؛ وقيل رد الشىء فى الحوادث إلى نظيره وأصله الذى يقاس عليه. ويدنو : يقرب، وما نأى. مابعد يقال نأى ينأى نأيا. يقول: من كان عاقلا عارفا بالأمور تبين له ماغاب عنه بما ظهر له بقياس عقله وحسن رأيه وأدبه يقول إن العاقل يجب أن يقيس الغائب بالحاضر والناء بالقريب والحاضر بالماضى فاذا صنع الإنسان ذلك انكشف لقلبه وعينه المغيبات وشهد مالم يقع قبل وقرعه تتلافى الشر ونجا منه ولم يقع فريسة البلاء والمحن

(١) الحرص الاجتهاد فى طلب كل مرغوب فيه مع كثرة الموانع منه ، يقال حرص يحرص فهو حريس . والقياد . الطاعة من قولك قدت الدابة فانقادت لى أى أطاعتنى . ويكرع : يخوض أو يشرب . والصرى : الماء الدائم الذى قد طال مكثه فتغير فيه : والصرى من اللبن أيضا ماطال مكثه فى الضرع ولم يحلب، والصرى جمع والواحدة صراة ويقال شاة مصراة إذا حلبت كل ثلاثة أيام حلبة، وحكى الفراء صرت الناقة وصريت لغتان فعت وفعلت وأصل التصرية الجمع . يقول إذا جعل الإنسان للحرص عليه سلطانا وصير نفسه للطمع ميدانا وأسلس له القياد فانه يعيش ماعاش مهانا ذليلا يتجرع مرارة الهوان والذلة قال : تعالى الله ياسلم بن عمرو يذوق الحرص أعناق الرجال

(٢) الأطماع : جمع طمع . واليأس : انقطاع الرجاء . ورنت : نظرت والمراد بعين العز العز نفسه . يقول فأما الذى يحمل نفسه على الزهد والغنى عما فى الأيدى من حطام هذه الدنيا ولا يطمع فى شىء منها فانه يكون بمحل منيع ومركز رفيع وملكان سام مرتفع لا يرام تنظر إلى عليائه عيون العز يريد الى أن من لم يطمع فى الدنيا طمع العز فيه وتعلق به ورنى بنظره اليه وتطلع إلى أن يكسوه بأثوابه ويعشيه بأرديته

مَنْ عَطَفَ النَّفْسَ عَلَى مَكْرُوهِهَا ... كَانَ الغِنَى قَرِينَهُ حَيْثُ انْتَوَى (١)

مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ ... تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الْخُطَا (٢)

مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِهِ ... نَدَامَةً أَلْذَعُ مِنْ سَفْعِ الذَّكَا (٣)

---

(١) عطف: أمال ورد. وكان الغنى قرينه: أى صاحبه. وحيث انتوى: حيث بعد، وهو من النوى أى البعد، جاء على بناء افتعل. يقول إن من ألزم نفسه الرضا بما يصيبه مع كراهته وغضاضته أصبح غنيا يرافقه الغنى أنى سار وحط رحاله فان الرضا هو السعادة وهو أبلغ الغنى

(٢) انتهاء قدره: غاية قدره. وتقاصرت. قصرت. وفسيحات: واسعات فسيحة أى واسعة. والخطا: جمع خطوة، وكتابته بالألف لأنه يرجع إلى الواو فى قولك خطوات فى الجمع وخطوت إذا رددت الفعل إلى نفسك ويخطو فى المستقبل. وهذا البيت مرتب على الأبيات السابقة فهو يقول إذا سمح الانسان لأمانيه وآماله أن تمتد وتتجاوز مقدار حاجته منها أكد نفسه وأتعبها وجرى فى ميدان الشقاء والتعب فهما سعى وكد وتعب فان آماله لن تتحقق لأن خطاه على سعتها ستقصر عن نيل غاياته

(٣) ضيع: ترك والمضيع التارك. والحزم: الاحتراس فى الأفعال والاستعداد للأمور قبل وقوعها وجنى لنفسه ندامة: أى قادها اليها كما يجنى الثمرة أى يجمعها ويقطعها، ويجوز أن يكون جنى بمعنى جر على نفسه ندامة فتكون اللام فى نفسه بمعنى على؛ وندامة. حسرة وتأسفا وألذع: أشد حرقة والسفع: الاحراق والذكا: التهاب النار مقصور يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو. يقال ذكت النار تذكر ذكوا، وأما الذكاء من الفهم فممدود، وكذلك الذكاء بمعنى السن من العمر

والذكاء مضموم الاول ممدوده اسم الشمس، ويقال للصبح ابن ذكاء وهو غير مصروف لعلتين التأنيث والتعريف قال الراجز.

مَنْ ناطَ بالعُجْبِ عُرَى أَخْلَاقِهِ نِيطَتْ عُرَى المَقْتِ إِلَى تِلْكَ العُرَى (١)
مَنْ طَالَ فَوْقَ مُنْتَهَى بَسْطَتِهِ أَعْجَزَهُ نَيْلُ الدُّنَا بَلْهَ القُصَا (٢)

وردته قبل انفلاج الفجر وابن ذكاء كامن فى كفر

يعنى أن الصبح كامن فى سواد الليل لان الكفر فى اللغة التغطية فكأن سواد الليل كفر الصبح أى غطاه يقول : عليك بالحزم فى أمورك كلها فلا تفعل شيئا دون تروٍ ولا فكر لئلا يكون عاقبة أمرك الندم الشديد المرير اللاذع البالغ فى شدة لذع النار واحراقها .

(١) ناط : علق وألصق ، يقال : ناط فلان الشىء ينوطه نوطا فهو نائط والشىء منوط أى معلق ، والنياط عرق غليظ علق به القلب وجمعه أنوطة فترد الياء إلى الواو لأنها فى النياطة مبدلة من واو ، وعرى : جمع عروة وهو ما يتمسك به أى يتعلق به . وأخلاقه : طبائعه ، ونيطت : علقت ، والمقت : أشد البغض يقال فلان مقيت وممقوت ، يقول من ألزم العجب نفسه وجعله طبيعة له قرن ذلك العجب بشدة البغض له . يقول إنك إذا أعجبت بنفسك وأعمالك وتعاليت بذلك على الناس لازمك المقت منهم والازدراء وكرهوك فان المقت والكره مصاحب للعجب والتعالى .

(٢) طال : ارتفع . والبسطة الفضلة يفضل بها الانسان على غيره ومنه قول الله تبارك وتعالى (وزاده بسطة فى العلم والجسم) . وأعجزه نيل الدنى : أى أضعفه وقصر به وقيل فانه . والنيل : الادراك . والدنى جمع الدنيا وهو الشىء القريب . والقصا : جمع القصوى وهو الشىء البعيد ، قال الله جل ذكره (إذا أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) وبله : بمعنى غير ، وقيل بمعنى دع ، وفى الحديث « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه » يريد غير ما اطلعتم عليه ، فاذا كانت بمعنى غير كان ما بعدها مخفوضا على الاضافة ، وإذا كانت بمعنى دع

مَنْ رَامَ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ طَوْقُهُ ... مِنَ العِبْءِ يَوْماً آضَ مَجْزُولَ المَطَا (١)

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَوَاحِدٍ ... وَوَاحِدٌ كَالأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَى (٢)

كان ما بعدها منصوبا مفعولا بيله لأنها تضمنت معنى دع كما تقول دع زيدا وأنشد النحويون قول الشاعر

تذر الجماجم ضاحياها ماتها ... بله الأكف كأنها لم تخلق

معناه تفعل هذا فى الجماجم فضلا عن الأكف فانها تتركها كأنها لم تخلق أو غير الاكف وكذلك يقول ابن دريد رحمه الله من طال إلى ما فوق قدره أعجزه نيل الدنى وهى الامور القريبة بله القصا فانك لا تدركها إذا لم تدرك القريب

يقول : إن لك أيها الانسان حدا تنتهى اليه فاذا رمت أن تعلو عنه عجزت عن تجاوز القليل الدانى فضلا عن القصى العالى

(١) رام : طلب وما يعجز . أى ما يقصر عنه . وطوقه : طاقته يقال طاقة وطوق بمعنى القوة وقال يزيد بن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما لما حضره الموت

إن تعذب يكن عذابك يارب غراما لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب عفو ... عن مسىء ذنوبه كالتراب

والطوق أيضا فى غير هذا حلى يجعل فى العنق وكل شىء استدار فهو طوق . وقوله ملعبء . أصله من العبء فحذف النون والألف ووصل الكلام ؛ والعبء الثقل . وجمعه أعباء . وآض . رجع . والمجزول . المقطوع والجزلة من اللحم القطعة منه ، والمطا ، الظهر . يقول إنك إذا حاولت إدراك ما تنوء به قوتك ولا يحمله عبئك وطاقتك فان حالك تؤول إلى العجز عن بلوغ أربه ، والتقصير عن إدراك طلبه ، فيلحقه الكلال والنصب كمن قطع ظهره ، وفى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »

(٢) إن أمر عنى . أى قصد ، وقد يكون من العناء وهى المشقة ؛ ويقال

وَلِلْفَتَى مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لَا مَا اقْتَنَى (١)

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى (٢)

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرَيْهِ فَقَدْ

أَمَرَّ لِي حِينًا وَأَحْيَانًا حَلَا (٣)

أيضاً عنائى الأمر إذا لزمنى ، يقول إن الناس عند الأزمات والكروب لا تغنى كثرتهم ولا تنال مساعدتهم ولا يرجى عونهم فألف منهم كواحد ، وصدر هذا البيت معنى حديث « الناس كابل مائه لا تجد فيها راحلة »

(١) اقتنى : اكتسب ، وقيل ادخر قال الله عز وجل (وأنه هو أغنى وأقتنى)أى أعطى ما يدخر . يقول فى الحض على بذل المال والجود والنهى عن اكتنازه وتصغير شأنه . الانسان إذا مات لم ينفعه ماله الذى جمعه ولا يغنى عنه شيئا فى الحساب وإنما ينفعه ما تصدق به وتقرب به الى الله عز وجل واتقى به النار . وفى هذا المعنى ورد الحديث القدسى « يا ابن آدم ليس لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وما سوى ذلك فوزره عليك » .

(٢) لمن وعى : أى حفظ يقال وعى يعى وعيا قال الله عز وجل « وتعيها أذن واعية » ويقال وعى جمع وبهذا فسرت الآية . يقول فى الحث على عمل الخير وتخليد الذكر الحسن إن الانسان صورته وهيكله سيذهب بالموت وتبقى أعماله أحاديث تنطق بالذى صنعه من خير أو شر . هو يفنى ويعود ترابا ولكن ذكره سيبقى فى فواه الناس تجرى به ألسنتهم فان كان خير صالحا ذكروه بالخير ولذن بالخير وترحموا عليه وان كان شريرا طالحا ذكروه بشر ولعنوه

(٣) حلبت الدهر : أى جربته . وشطراه : نصفاه . وهذا مثل وأراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه فلذلك ثناه تقول شطرت الشيء إذا جعلته نصفين فهذا صرف منه فعل ، وأما الشطر الذى هو القصد فلا

وَفُرْ عَنْ تَجْرِبَةٍ نابى فَقُلْ ... فى بازِلٍ رَاضَ الخُطُوبَ وَامْتَطَى (١)
وَالنَّاسُ لِلْمَوْتِ خَلًا يَلْسُهُمْ ... وَقَلَّ مَا يَبْقَى عَلَى اللَّسِّ الخَلَا (٢)
عَجِبْتُ مِنْ مُسْتَيْقِنٍ أَنَّ الرَّدَى ... إِذَا أَتَاهُ لَا يُدَاوَى بِالرُّقَى (٣)

يستعمل منه فعل قال الله عز وجل « فول وجهك شطر المسجد الحرام » أى قصده وتلقاءه . يقول إنه عرف الدهر ومرت به أحداثه وخطوبه وأفراحه وأتراحه وحلب شطرى الدهر وصرى ضرعيه فدرله المرحيناً وحلا حيناً وربما فهم من قوله حيانا أن إحلاوته كانت أكثر من مرارته وغضاضته وأن أيام سعادته تربو على أيام شقوته .

(١) وفر عن تجربة نابى : أى كشف عن أمرى وهذا مثل مأخوذ من قولهم فر عن الدابة إذا فتح فاها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها ، والناب : الضرس الذى يلى الرباعية ، وراض الخطوب : أذلها يقال رضت الفرس إذا ذللته والبازل من الابل الذى أتت عليه تسعة أعوام ، والخطوب : الأعوار النوازل واحد خطب ، وامتطى : الدابة ركبها وجعلها مطية . يقول إننى مارست الأمور وبلوتها وعرفنى الزمن بتجاربه وعركنى وابتلانى ليجربنى فوجدنى صلباً كأننى بعير بازل قوى راض الخطوب ، وأذللها فانت لديه وذلت صعابها وسيطر عليها

(٢) الخلا : الحشيش الرطب . ويلسهم : يأكلهم ، واللس أن تأخذ الماشية الخلا الرطب بمقدم فيها يقال فى تصريفه لست الدابة الخلا تلسه لسافهى لاسة إذا أخذته بمقدم فيها ، وهذا مثل مضروب للموت والناس . يقول إن الموت يرعى الناس ويفترسهم كما تأكل الدواب الحشيش الرطب وترعاه ، فكما أن الخلا لا يبقى على الرعى والأكل كذلك الناس لا يدومون مادام الموت يتعقبهم

(٣) مستيقن : عالم والردى : الهلاك قال الله عز وجل (واتبع هواه فتردى) وتصريفه ردى يردى ردى . والرقى : جمع رقية وهى تلاوة أدعية أو آيات من القرآن للشفاء من العلة وهى جائزة شرعا يقول انى أعجب ممن أيقن

وَهْوَ مِنَ الغَفْلة فى أهْوَيَةٍ كَخَابطٍ بَيْن ظلامٍ وعَشَا[1]
نَحنُ ولا كفرانَ لِلّهِ كما قدْ قيل للسَّارِبِ أخْلَى فارْتَعى[2]

أن الرقية والسحر وما شابههما لا تدفع الموت عن نفسه ، ثم هو مع ذلك يسترقى يريد أن رقيته تنفى إيمانه ويقينه .

(١) الأهوية : الغامض من الأرض وهى الحفرة التى يضيق أعلاها ويتسع أسفلها . والخابط : الذى يمشى ليلا بغير مصباح فربما وقع فى بئر أو سقط على شىء وهو لا يدرى أين يجعل رجليه فيطأ كل شىء وهو لا يراه . والعشا ضعف فى البصر يقال رجل أعشى وامرأة عشواء . يقول إن يقين هذا المستيقن المسترقى ليس شيئا فما أشبهه إلا بأعشى يخبط فى ظلمات الليل خبط العشواء

(٢) ولا كفران لله : أى ولا جحد لله والكفران والكفر واحد ، وأصل الكفر التغطية ، والستر : كفر فلان النعمة إذا عرفها وكتمها ويقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته ، وسمى الزارع كافراً لأنه إذا ألقى البذر فى الأرض كفره أى غطاه قال الله عز وجل « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » والكفار ههنا الزراع ، ويقال جاء فلان فى ألف كافر تريد فى ألف فارس ممن غطى عليه السلاح ، وسمى طلع النخل كافوراً لاستتاره فى أغطيته ، وأحسن ما قيل فى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » أى لا يتكفر بعضكم لبعض فى السلاح . والسارب : الظاهر بماله من الماشية وكل متصرف فى حوائجه فهو سارب ، ومنه قول الله عز وجل « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » وقال الشاعر

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ونحن حللنا قيده فهو سارب

سارب : أى ذاهب . وأخلى : أى دخل فى الخلا : وهو الحشيش الرطب كما يقال أظلم إذا دخل فى الظلام واصبح إذا دخل فى الصباح وأمسى إذا دخل فى الامساء ، وقيل أخلى صار فى خلوة والتقدير على هذا نحن كهذا السارب الذى ارتعى فى خلوة . ورعى . يقول اننا يعزب عنا اليقين مع إيماننا

إِذَا أَحَسَّ نَبْأَةً رِيعَ وَإِنْ تَطَامَنَتْ عَنْهُ تَمَادَى وَلَهَا (١)
كَثُلَةٍ رِيعَتْ لِلَيْثِ فَانْزَوَتْ حَتَّى إِذَا غَابَ اطْمَأَنَّتْ أَنْ مَضَى (٢)
تُهَالُ لِلْأَمْرِ الَّذِي يَرُوعُنَا وَنَرْتَعِي فِي غَفْلَةٍ إِذَا انْقَضَى (٣)
إِنَّ الشَّقَاءَ بِالشَّقِيِّ مُولَعٌ لَا يَمْلِكُ الرَّدَّ لَهُ إِذَا أَتَى (٤)

بالله سبحانه وتعالى نحيد حينا الجادة ، ونغر بزهرة الدنيا وحالنا فى ذلك حال السارب من الابل أو الماشية تركت هملا ووجدت مرعى ترعاه

(١) أحسن : علم . والنبأة : الصوت الخفى ريع : فزع . واطمأنت : هدأت وسكنت ، وكذلك تطامنت . وتمادى : استمر ودام . ولها : غفل يقول إنه لسيره على غير هدى عدم الأمان والقرار فهو مطمئن متماد فى لهوه وغيه يرتاع لأقل الاصوات وأخفى الحركات (وهذا شرح البيت الذى قبله)

(٢) الثلة : بالفتح الجماعة من الغنم ، والثلة بالضم الجماعة من الناس قال الله تعالى « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » وريعت : فزعت ، وانزوت : انقبضت واللبث : الآسد وجمعه ليوث . يشبه الناس بجماعة من الماشية ترعى مطمئنة ما لم يروعها الليث ويخيفها فتنزوى وتتكف عن الرعى وتدخل إلى مرابطها .

(٣) نهال : نفزع والهول الفزع . والروع أيضا الفزع ، ويروعنا : يفزعنا وترتعى ترعى ومنه قوله تعالى « نرتع ونلعب » وفى غفلة : لتركه النظر فى مآله ، مع عجزه عما يفزعه . وانقضى . ذهب وفرغت مدته . يقول إننا نرتاع ونفزع عند ما تعرونا ملة فاذا صرف المهم وزالت الكربة عدنا إلى غفلتنا ونسينا ما كان من البلاء والشدة ولا نعتبر بما أصابنا

(٤) الشقاء : والشقوة واحد ، ومنه قوله عز وجل « قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا » ويقرأ شقاوتنا . والمولع : المغرم بالشىء الملازم له لا يكاد يفارقه . لا يملك الرد له . أى لا يملك الدفع والصرف . يقول إننا أشقياء لأنا نخاف الشقاء فهو يولع بنا فتعجز عن دفعه كأنما يقول إننا إذا لم نخف

وَاللَّوْمُ لِلحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ وَالْعَبْدُ لَا يَرْدَعُهُ إِلَّا العَصَا (١)
وَآفَةُ العَقْلِ الهَوَى فَمَنْ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا (٢)
كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلَاقُهُ أَصْفَيْتُهُ الْوُدَّ لِخُلْقٍ مُرْتَضَى (٣)

الشقاء ولم نتوقع حدوثه لم يقصر بنا ولم يعرف طريقنا بل إذا أتى الينا استطعنا دفعه وكذا الشق يجلب لنفسه الشقا ، وهذا كقولهم الناس من خوف لفقر فقر

(١) اللوم بالفتح من الملامة وهو الذم والشتم . واللؤم بالضم الشح ومهانة النفس ودناة الآباء والحر : الخالص من كل شيء ومقيم أى مصلح ما كان فيه ورادع . كاف يقال ردعته فارتدع أى كففته فانكف ، والرداع وجع فى الجسد قال الشاعر

فياعجباً وعاردنى رداعى وكان فراق ليلى كالخداع

والرداع أيضا لطخ الطيب وأثره فى الجسد والرداع الغضب قال الشاعر

بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم

وقيل الرداع فى هـــذا البيت اسم ماء بعينه يعرف بهذلك الموضع . والعبد لا يردعه إلا العصا أى لا يردعه عن السوء إلا العصا يقول ان الحر يستقيم من ميله ويصلح أمره ويعتدل عرجه بكلمة تقال له ، ولكن العبد لا يصلحه الا الضرب والشدة

(٢) وآفه العقل ومضرته ومفسدته والهوى السهوة والارادة . فمن علاء أى فمن ارتفع عقله على هواه ، أى على شهوته وارادته ، فقدنجا أى فقد سلم

يقول ان الهوى مفسد للعقل ويضربه لأن الهوى والعقل ضدان فاذا غلب سلطان الهوى على سلطان العقل فسد الأمر وهلك صاحبه أما اذا غلب سلطان العقل على سلطان الهوى نجا صاحبه من الهلاك

(٣) مسخوطة . من السخط وهو ضد الرضى فمعنى مسخوطة غير مرضية وأخلاقه . طبائعه ، وأصفيته الود . أى أخلصت له الود ، والخلق مرتضى . أي

إِذَا بَلَوتَ السَّيفَ مَحمُودًا فَلَا تَذْمُمْهُ يَوْمًا إِنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَا (١)

وَالطَّرْفُ يَجْتَازُ المَدَى وَرُبمـا عَنَّ لِمَعْـدَاهُ عِثَارٌ فَـكَبَا (٢)

مَنْ لَكَ بِالمُهَـذَّبِ النَّدْبِ الَّذِى لَا يَجِـدُ العَيْبُ إِلَيْهِ مُخْتَطَى (٣)

إِذَا تَصَفَّحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تُلْفِ امْرِءًا حَازَ الْكَمَالَ فَاكْتَفَى (٤)

لخلة واحدة مرضية منه ، والمرتضى : المستحسن ، يقول إننى كثيرا ما أصفى ودى وأؤاخى أناسا لهم أعمال كثيرة شائنة وأخلاق نابية غير فاضلة ، ولكنى أجد فيهم خلة واحدة طيبة ترضينى فأحس معاملتهم لأجلها .

(١) بلوت اختبرت قال الله عز وجل « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » أن تراه قد نبا : وأن فى موضوع نصب لأنه مفعول به ، وقيل هو مفعول من أجله والتقدير فلا تذمه يوما من أجل أن تراه قد نبا أى من اجل رؤيته نابيا ، ونبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئا . يقول إن مثلى مع هؤلاء كمثل صاحب السيف لا يذم إذا نبا ، فان نبوته لعله ليست فيه وكذلك هؤلاء الناس ، أغفر لهم سوء خلقهم وأعزوه إلى أمور خارجة عن طوقهم

(٢) الطرف : الكريم من الخيل . ويجتاز : أى يجوز ، والمدى : الغاية وعن عرض . ولمعداه : لعدوه ، وعدوه جريه ، وعثار مصدر ثر يعثر عثارا إذا كبا ، وكبا سقط لوجهه . يقول مثلى كذلك معهم كمثل راكب الفرس الكريم ينبغى أن يذمه إذا عثر به أو كبا مادام لا يوصله إلى الغاية .

(٣) المهذب : العاقل الظريف ؛ وقيل المهذب المخلص ؛ والندب : الرجل الخفيف فى الحاجة ؛ وقيل الندب الذى ينتدب للمكارم ؛ وقيل الندب المندوب لكل حاجة حسن تصرفه فيها ؛ وقيل الندب الذى قد عركه الدهر فحسن أخلاقه والمختطى . الممشى وهو من خطا يخطو اذا مشى يقول إن الخلوص من كل الشوائب والبراءة من العيوب والسلامة من المآخذ فى الأصدقاء أمر لا سبيل اليه

(٤) التصفح : النظر فى خلال الشىء ؛ ولم تلف : لم تجد ؛ وحاز : حوى

عوّلْ عَلَى الصَّبرِ الجَمِيلِ فإنّهُ أَمنَعُ مَا لَاذَ بِهِ أُلُو الحِجَا (١)
وَعَطِّفِ النَّفْسَ عَلَى سُبُلِ الأَسَا إِذَا اسْتَفَزَّ القَلْبَ تَبْرِيحُ الجَوَى (٢)
وَالدَّهْرُ يَكْبُو بالفَتَى وَتَارَةً يُنهِضُهُ مِنْ عَثْرَةٍ إِذَا كَبَا (٣)
لَا تَعْجَبَنْ مِنْ هَالِكٍ كَيْفَ هَوَى بَلْ فَاعْجَبَنْ مِنْ سَالِمٍ كَيْفَ نَجَا (٤)

الكمال : التمام يقال أكملت الشيء إذا أتممته ، واكتفى : أى اجتزأ به تقول كفانى الشيء يكفينى أى أجزأنى . يقول إنك إذا استعرضت البشر وقرأت صفاتهم وأعمالهم وجدت قلوبهم امتلأت بالأطماع واستحوذ عليها الجشع حتى أن من بلغ من الكمال الخلق نهايته لا تقف مطامعه عند حد يرضى معه بما هو فيه لا فرق بين عال ودون وأمير وحقير

(١) عول على الصبر : أى ارجع اليه واعتمد عليه ، أمنع : أى أحمى وأقوى ، ولاذ : لجأ وركن واستتر ، والحجا : العقل وأولوا الحجا : أولوا العقل يقول اتخذ الصبر الجميل صاحبا لك تعول عليه فى كل ما يحزب من شدة وهون فهو الحصن المانع والدرع الواقية التى يلوذ بها ذوو العقول السليمة

(٢) عطف النفس : ردها ، والسبل : الطرق واحدها سبيل ، والأسا : التصبر إذا استفز : استخف ، والتبريح ، الشدة . وجمعها تباريح ، والجوى : مقصور مفتوح الجيم فساد الجوف يكتب بالياء لأنه يقال جوى يجوى جوى ويروى تبريح الأسا والأسا بفتح الهمزة الحزن . يقول روض نفسك على التسلى بالصبر وعرفها طرقه وحببه اليها عند ما يعروك ملم يستفزك ويثير أشجانك

(٣) يكبو : يعثر يقال كبا يكبو بمعنى عثر يعثر ، وتارة : أى مرة وحينا ، وينهضه : وإذا كبا . سقط وعثر والمصدر كبوة واسم الفاعل كاب .

يقول اصبر على المكروه يصل بك صبرك إلى الامر الحميد السار فان الدهر كفرس ان عثر بصاحبه مرة فانه ينهضه أخرى ويوصله الى ما يحب

(٤) هوى : سقط يقال منه هوى يهوى هويا ، ونجا : خلص . يقول ان

إِنَّ نُجُومَ الْمَجْدِ أَمْسَتْ أُفَّلًا وظِلُّهُ الْقَالِصُ أُضْحَى قَدْ أَزَى (١)

إِلَّا بَقَايَا مِنْ أُنَاسٍ بِهِمُ إِلَى سَبِيلِ الْمَكْرُمَاتِ يُقْتَدَى (٢)

إِذَا الْأَحَادِيثُ انْتَضَتْ أَنْبَاءَهُمْ

كَانَتْ كَنَشْرِ الرَّوْضِ غَادَاهُ السَّدَى (٣)

المصائب والشرور فى الدنيا طبيعة فيها وهى غالبة على سرورها فلا يزيدنك عجبا أن ترى إنسانا هلك بل إعجب أشد العجب للسالم الذى ينجو ، وهل نجا انسان من الهلاك منذ برأ الله الناس ذلك مالا سبيل اليه

(١) المجد : الشرف ، والأفل : الغيب والواحد آفل يقال أفل أفلا اذا غاب قال الله عز وجل (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) والقالص . المرتفع . وفرس قالص طويل القوائم ، وازى . قصر وتقبض يقول إننا أصبحنا فى عالم غربت نجوم مجده بعد الشروق وتقلص ظله بعد امتداد وامحت رسومه ولم يبق من معالم المجد الا اسمه الدارس وظله المتقلص

(٢) يقتدى . يتبع فعلهم . يقول إنه لم يبق من أصول المجد ودعائمه الا بقايا قلائل هم فى عصرنا الضوء الهادى الى سبيل المكارم التى أصبحت خفية المعالم مندثرة لاتعرف ولا يتوسل اليها بغير هؤلاء الناس

(٣) انتضت . أى ظهرت وهو من نضا الشىء ينضو اذا ظهر ويروى اقتضت بالقاف أى طلبت الأحاديث أخبارهم . والانبياء والاخبار واحدها نبأ ، والنشر . الرائحة الطيبة والروض ، الموضع الذى يكون فيه ضروب من النبات فيكون فيه أنواع النور وهو جمع روضة فان كان فيه شجر فهو حديقة وغاداه باكره وهو من الغدو يقال غاداه يغاديه مغاداة اذا صبحه بالغدو والسدى الندى فى هذا الوضع وهو المطر وقيل السدى مانزل فى أول الليل والندى آخر الليل وقال ابن الانبارى السدى والستى والندى فى معنى واحد يقال أرض سدية وستية وندية قال الفراء وكلهن يكتبن بالالف

لَا يَسْمَعُ السَّامِعُ فِى مَجْلِسِهِمْ هُجْرًا إِذَا جَالَسَهُمْ وَلَا خَنَا[1]

مَا أَنْعَمَ الْعِيشَةَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى يَقْبَلُ مِنْهُ الْمَوْتُ أَسْنَاءَ الرُّشَا[2]

أَوْلَوْ تَحَلَّى بِالشَّبَابِ عُمْرَهُ لَمْ يَسْتَلِبْهُ الشَّيْبُ هَاتِيكَ الْحُلَى[3]

والياء قال الأصمعى يقال سديت الأرض اذا نديت من السماء كان الندى أو من الأرض ، قال ابن حبيب الندي ماكان من والسدى ماكان من الأرض يقول إن هولاء الناس حين يتحدث الناس بذكرهم تعطر الأرجاء مثلهم فى ذلك مثل نشر الروض باكره الندى فعبقت أزاهيره وفعم الحواس أريجه .

(١) الهجر القبيح من القول والخنا فى القول أو الفعل . ويقال الخنا فيهما يقول إن مجالسهم كريمة لايسمع فيها للفحش أو الخنا أو هجر القول ذميمة ذكراً فلا تتأذى فيها الأسماع بل تصان عن كل المقابح والعيوب .

(٢) ماأنعم العيشة : أى ما أطيبها ، والعيشة : الحياة ،وأسناء الرشا: أرفعها وأعلاها وواحد الأسناء سنى بالتشديد وأصله الهمز لأنه من السناء الذى هو الرفعة والشرف لكن من شدد أبدل الهمزة ياء من أجل الياء التى قبلها وأدغم الياء الأولى فى الثانية على الأصل المستعمل فى الهمزة المتحركة التى قبلها ياء زائدة أو واو زائدة كسنى وضوء فالأسناء بالمد جمع سنى مثاله أينام ويتيم وهذا المثال من الجمع لفعيل إنما يكون قليلا فى الصفات لا فى الأسماء كما أنه قليل إذا أتى جمعا لفاعل نحو صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد . والرشا جمع رشوة وهى العطية التى يحابى بها الانسان أو يخص ، والمراشاة المحاباة وقيل رشا الهدايا لمن يخاف ظلمهم مثل الحكام ونحوهم يقول لو ان الموت قبل رشوة من الناس لبذلوا له الرشى السنية والعطايا الفاخرة لينعموا بالمعيشة وتصفو لهم الحياة وأما كان نعمهم بذلك ولكن الموت لا يقبل الرشوة فالحياة مرنقة مكدرة بسبب الموت والفناء

(٣) تحلى بالشباب لبسه وتزيا به ، ويستلبه يجرده ، وهاتيك بمعنى تلك« والحلى : جمع حلية . يقول أيضا ماأحسن التنعم بالحياة لو متع الانسان

هَيَاتَ مَهْمَا يُسْتَعَرْ مُسْتَرْجَعْ وَفِي خُطُوبِ الدَّهْرِ لِلنَّاسِ أُسَى (١)
وَفِتْيَةٍ سَامَرَهُم طَيْفُ الْكَرَى فَسَامَرُوا النَّوْمَ وَهُمْ غِيدُ الطُّلَى (٢)
وَاللَّيْلُ مُلْقٍ بِالْمَوَامِي بَرْكَهُ وَالْعَيْسُ يَنْبِثْنَ أَفَاحِيصَ الْقَطَا (٣)

الشباب طول حياته ولم يسلط عليه الشيب ويغلبه الضعف فيسلبه حلى الشباب الجميلة بما فيها من قوة ونضارة وقدرة على الاستمتاع باللذائذ

(١) هيهات بمعنى بعد قال الله عز وجل حكاية عن الكافرين هيهات «هيهات لما توعدون» ومهما يستعر اى ما يستعر لابد لمعيره ان يأخذه ومسترجع مردود وخطوب الدهر اموره والأسى جمع اسوة وهى ما يتأسى به الانسان مما ينزل بغيره لأنه يقتدى به ويتعزى به فيتصبر يقول ما ابعد هذه الاماني فان الحياة والشباب عارية وكل عارية مآلها الرجوع من حيث اتت فعلينا ان نتأسى بما اصاب الناس قبلنا من نوائب الدهر وفواجعه

(٢) فتية جمع فتى وسامرهم حادثهم ليلا والسمر الحديث بالليل يقال من ذلك سمر يسمر فهو سامر ولا يقال سمر بالنهار وقولهم هذه كتب السمر اى كتب الأحاديث التى يتحدث بها ليلا وقيل معنى كتب السمر اى كتب الدهر والعرب تقول لا افعل ذلك ما سامرا بنا سمير اى ما اختلف الليل والنهار والسمار المحدثون واحدهم سامر والسامرى منسوب الى سامرة وهى بلدة والطيف ما يراه الانسان فى المنام من خيال من يحبه والكرى النوم والغيد جمع اغيد وهو الناعم وقيل المائل العنق وقيل المائل المثنى نعمة والطلى الأعناق يقول رب فتية قراهم طيف الكرى فوق ظهور الابل وسامرهم وامال الكرى والنوم اعناقهم الناعمة وغلبهم التعب على النوم

(٣) المواى جمع موماة وهى القفر والبرك الصدر وينبثن يخرجن والنبث والنبيثة التراب الذى يخرج من البئر والنهر والجمع النبائث والعيس البيض من الابل الواحد اعيس والأنثى عيساء وافاحيص القطا او كارها

بِحَيْثُ لَا تُهْدَى لِسَمْعٍ نَبْأَةٌ ... إِلَّا نَئِيمَ الْبُومِ أَوْ صَوْتَ الصَّدَى (١)

شَايَعْتُهُمْ عَلَى السُّرَى حَتَّى إِذَا ... مَالَتْ أَدَاةُ الرَّحْلِ بِالْجِبْسِ الدَّوِى (٢)

قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْهُوَيْنَا غِبُّهَا ... وَهْنٌ فَجِدُّوا تَحْمَدُوا غِبَّ السُّرَى (٣)

وَمُوحِشِ الْأَقْطَارِ طَامٍ مَاؤُهُ ... مُدَعْثَرِ الْأَعْضَادِ مَهْزُومِ الْجَبَا (٤)

واحدها أخوص وقيل أفاحيص القطا المواضع التى تفحصها بصدورها للبيض أى توسعها . يقول إن هؤلاء الفتية ناموا والليل قد غطى القفار وشملها وألقى عليها أرديته . ولكن الإبل لم تنم بل سارب بهم فى الليل تجرت بهم الموت المقفرة تخرج بأخفافها أفاحيص القطا وأوكارها

(١) النبأة : الصوت الخفى ، ونئم اليوم . صوته واليوم الهام ، والصدى ذكر الهام . يصف الليل وسكونه فلا تسمع الأذن إلا صوت اليوم والهام

(٢) شايعتهم تابعتهم على رأيهم فى سير الليل . والسرى . سير الليل . وأداة الرحل : جوانبه وهى عيدانه من الإكاف وقطع الأكسية والبرذعة . والجبس الرجل الثقيل ، والدو : الأحمق يريد بذلك أنه كان نائما فمالت به أداة الرجل يقول إننى كنت متابعا لهؤلاء الفتية أسير معهم ليلا فلما ناموا وثقل النوم أجسامهم مالت أداة رحلهم وهم على الابل فكادوا أن يقعوا

الهوينا : الرفق فى السير وقيل مشية فيها فتور ، وغب السرى : عاقبته . والوهن : الضعيف . وجدوا . أى اجتهدوا من قولهم جد يجد إذا اجتهد يقول إننى أيقظتهم ونصحتهم بالاقلاع عن النوم والكسل والترفق فى السير لأن نتيجة ذلك كله غير محمودة وقلت لهم جدوا تحمدوا عاقبة سيركم هذا وتصلوا إلى نتيجة حسنة محمودة وتقطعوا المفازة بسلام فان النهار ان أدرككم منعتم من السير لأنكم فى بيداء لا يمكن للإنسان أن يسير فى هاجرتها براحلته

(٥) موحش الأقطار : يعنى بئرا أو حوضا والموحش ضد المؤنس لأن الوحشة ضد الأنس فتفسير موحش بعيد العهد بالانس . والأقطار . النواحى

كَأَنَّما الرِّيشُ عَلَى أَرْجَائِهِ زُرْقُ نِصَالٍ أُرْهِفَت لِتُمْهَى (١)

وَرَدْتُهُ وَالذِّئْبُ يَعْوِي حَوْلَهُ

مُسْتَكُّ سُمِّ السَّمْعِ مِنْ طُولِ الطَّوَى (٢)

وَمُنْتِجٍ أُمَّ أَبِيهِ أُمَّهُ لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضَّوَى (٣)

واحدها قطر . والطامى : المرتفع . ومدعثر . مهدوم والأعضاء . ماحواليه من صفائح الحجارة التى تعضده أى تشده وتقويه واحدها عضد . والجبا . بفتح الجيم ماحول البئر والحوض والجبا . أيضا الحوض الذى يجىء فيه الماء يصف بئرا موحشة معطلة لبعد عهد الانس بها قد ارتفع ماؤها فتهدم بناؤها

(١) على أرجائه . أى نواحيه وواحد الأرجاء رجى مقصور . وزرق نصال أى بيض نصال فالزرق البيض والنصال . جمع نصل وهى السهام وواحد السهام سهم . وأرهفت أى رققت . وتمتهى تسق بالماء تقول امتهى الحداد السكين أى سقاء بالماء وقيل معنى أرهفت ههنا استلت عن كنايتها وتمتهى أى تحد وهذا موافق لقول امرىء القيس

راشه من ريش ناهضة ثم امتها على حجره

يقول إن هذه البئر والحوض تناثر ريش سباع الطير فى نواحيها وأرجائها لكثرة ماوردته واقتتلت على مائه فأشبه الريش النصال الزرق المرهفة المحدودة المعدة للرمى

(٢) وردته يعنى ووردت هذا الماء فالهاء عائدة على الماء فى قوله طام ماؤه ومعنى يعوى يصيح من الجوع ومستك ضيق سم السمع والاستكاك الصمم والسم الثقب وسم كل شىء ثقبه قال عز وجل (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى فى ثقب الخياط والطوى الجوع والطوى أيضا خمص البطن وهو ضموره يقول انى وردت هذه البئر الموحشة التى لا أنيس عندها غير الذئب يعوى ويصوت حوله من الجوع حالة كون ذلك الذئب اصم لا يسمع ما طوى جوعا

(٣) ومنتج فيه قولان أحدهما أن يكون مفتعلا من النجوة وهو المكان

المرتفع فيكون الأصل فيه منتجو فوقعت الواو فى موضع حركة وقبلها مكسورا فسكنت وقلبت لكسرة ماقبلها فصارت ياء ساكنة دخل عليها التنوين فسقطت لالتقاء الساكنين وهذا الوجه الصحيح والثانى وهو الوجه الضعيف أن يكون منتج مفعلا من النتاج فيكون غلطا فى اللغة لأنه إنما يقال نتجت الناقة ونتجها أهلها فمحال أن يأتى من الثلاثى اسم المفعول على مفعل وإنما يكون على مفعول كما يقال ضرب فهو مضروب وانما يأتى على مفعل من الرباعى كقولك أكرمته فهو مكرم غير أن أبا إسحاق الزجاج حكى أنه يقال نتجت الناقة وأنتجت بمعنى واحد فهو على هذا جائز وقيل ان نتجت الناقة إذا ظهر نتاجها ولا يعرف لها فعل غير هذا ؛ ومنتج على القول الأول اسم فاعل وعلى القول الثانى اسم مفعول ومعنى البيت على هذا رب غصن مولود وهو على الاستعارة . ثم قال أم أبيه أمة : يحتمل هذا وجهين يجوز أن يريد بأم أبيه التى هى أمه الأرض فكأنه وصف غصنا نبت من غصن قطع من شجرة فالأرض أم الشجرة وأم الغصن الذى نبت منه الغصن الثانى الذى هو أبو الغصن الأول ، ويحتمل أن يريد غصنا قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمنزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنه منها فصارت أما لأبيه وأما له وقوله لم يتخون : أى لم يتعاهد يقال فلان يتخاونه الخبل أى يتعاهده والتخون أيضا التنقص ويروى لم يتخور جسمه بالراء وهو من الخور والخور الضعف يقال خار الرجل يخور خورا إذا ضعف وهو بالخاء المعجمة واسم الفاعل خائر وخوار . يريد أن الغصن الذى ذكره لم يتعاهده الضعف والرقة . والضوى : الهزال ومنه غلام ضاو وجارية ضاوية . وقال ابن خالويه؟ يعنى النار إذا قدحت من الزند والزندة وهما خشبتان العرب تورى منهما النار الأعلى الزند والسفلى الزندة . ويقال فى الشجر كله النار واستحمد والعضاة . قال الله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) يعنى الأخضر إذا يبس تورى منه النار فأقام هذه النار الزندة وأبوها الزند وهما من شجرة واحدة ولذلك قال أم أبيه أمه وهذا كما قال ذو الرمة

أخرجها أبوها والضوى لا يضيرها وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا

أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَانْثَنَتْ عَنِ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيُشْتَوَى (١)
وَمَرْقَبٍ مُخْلَوْلِقٍ أُرْجَاؤُهُ مُسْتَصْعَبِ المَسْلَكِ وَعْرِ المُرْتَقَى (٢)

وقد قال مثل هذا اوس بن حجر والنابغة وكعب بن زهير فأما قول كعب

حرف أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها فوداء شمليل

هذا جمل قرع ناقة فولدت سقبا أى ولدا ذكر فلما بلغ فرع هذه الناقه وهى أمه فولدت بكرة هو أبوها وهو أخوها من الفحل الكبير والفحل الكبير خالها لأبيها لأنه أخ لأب وأخ لأم . قال ابن حبيب معنى هذا البيت مثل رجل تزوج امرأة وزوج بنته من غيره لابنها من غيره ثم جاء منها ولد وجاء ابنها من بنته ولد فصار ابن الرجل منهما عم ذلك الولد لأنه أخو أبيه من أمه وهو خاله أيضا لأنه أخو أمها من أبيها . قال الطرماح ؛

وأخرج أمه لسواس سلمى لمعقوم الضرا صرم الجنين

يعنى بذلك الزندة وسواس سلمى أصله وسلمى مع جبل طىء والحرف من النوق تكون هزيلة وسمينة . وقال آخرون سميت حرفا لأنها انحرفت من السمن إلى الهزال وهذا كثير فى اللغة

ولم يتخون . لم ينقص يقال تخونه وتخوفه بمعنى قال تعالى (أو يأخذهم على تخوف) أى على نقص . والضوى الهزال ضوى يضوى ضوى شديدا وغلام ضاوى مهزول . وجاء فى الحديث « تزوجوا فى الغرباء ولا تضووا » ويروى « لا تضربوا فى الأقارب فتضووا » والضو أى يضاجع ضوة وهى درمة فى لهازم البعير واللهازم داخل الحنك من كل شىء

(٢) أفرشته يعنى فرشت للزند الأعلى بيت أخيه الزندة السفلى فانثنت عن ولد يعنى النار ويقال للنار إذا خرجت من الزندة السقط . ويروى به . أى يستضاء به . وذكر الضمير فى به لأنه راجع على الولد والولد مذكر . ويستوى به يستوى به يقال شويت اللحم واشتويته

(٢) المرقد . الموضع العالى الذى ينظر منه إلى بعد . والمخلولق الأملس

وَالشَّخصُ فِي الآلِ يُرَى لِنَاظِرِ تَرْمُقُهُ حِيناً وَحِيناً لَا يُرَى (١)
أَوْفَيْتُ وَالشَّمْسُ تَمُجُّ رِيقَهَا وَالظِّلُّ مِنْ تَحْتِ الحِذَاءِ مُحْتَذَى (٢)

أرجاؤه . نواحيه . والمستصعب . والصعب ؛ والمسلك الطريق جمعه مسالك ويروى مستصعب الأقذاف، والأقذاف النواحى واحدها قذف والوعر الصعب والمرتقى . المصعد . ويروى وعر المرتبى أى الموضع العالى الذى يرتبى اليه أى يرتفع فيه ويصعد عليه وهو من ربا يربو إذا ارتفع والربوة الأرض المرتفعة وفيها أربع لغات ربوة وربوة وربوة بتعاقب الحركات الثلاث على فائها ورباة والجمع الربى ؛ وقوله عز وجل (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قيل إنها دمشق ، وقيل انها بيت المقدس ، وقيل هى فلسطين ؛ وقيل هى مصر . يقول ورب مكان عال أوجبل مرتفع شامخ كل نواحيه ملساء لاتثبت عليه قدم ولا تستمسك بيد تعجز القوى عن الوصول اليه لوعورته وصعوبة السير والاهتداء فيه

(١) الشخص . هو الشيء المرتفع مأخوذ من شخص إذا ارتفع و. والآل هو السراب . وترمقه . تنظره . وحينا . وقتا . يقول إن الشخوص والمعالم التى وضعت فى طرقاته للهداية منبهمة الحدود من حر الهاجرة وشدة وقدتها يخفيها السراب عن العيون مرة فلا تستطيع أن تراها ويظهرها مرة أخرى فترى للعين واضحة

(٢) أوفيت . أوتيت ووصلت . وتمج ريقها . تلقيه وريقها لعابها ولعاب الشمس إنما يكون فى وقت الظهيرة ، وهو أشد ما يكون فيه الحر فيتبين فى ذلك الوقت فى الشمس مثل نسج العنكبوت خفى يسمونه لعاب الشمس وريق الشمس ولا يكون لشيء فى ذلك الوقت ظل إذا كانت الشمس فى وسط السماء . ومعنى والظل من تحت الحذاء محتذى . أى ملصق والحذاء . النعلى يقول فالظل تحت النعل كأنه قد حذى معها يريد أن ظل الإنسان قد صار نعلا لحذاء النعل لأنه بقبالته من تحت محاذيا له . يقول إننى أوفيت ووصلت الى هذا المكان رغم خطر سلوكه ووعورته فى وقت الظهيرة والشمس كالحية تلقى ريقها

وَطارِقٍ يُؤْنِسُهُ الذِّئْبُ إِذَا تَضَوَّرَ الذِّئْبُ عِشَاءً وَانْضَوَى (١)
آوَى إِلَى نَارِي وَهِيَ مَأْلَفٌ يَدْعُوا الْعُفَاةَ ضَوْءُهَا إِلَى الْقِرَى (٢)

تنشر سمومها فى الجو وذلك حين يشتد أوراها وحرها وتتوسط الشمس فى كبد السماء فتنعدم الظلال ويكون الظل تحت قدم السائر

(١) الطارق . الذى يجىء بالليل ولا يكون الطارق نهارا . وتضور صاح من الجوع والتضور الصياح من الجوع يقول ان هذا الطارق يؤنسه تضور الذئب وعواؤه فلما يئس من سماع أصوات بنى آدم أنس بصوت الذئب . وطارق يصف طارق ليل أو ضيفا أتاه عشاء ؛ بأن شميته أن يأنس لشجاعته وقوته الى عواء الذئب اذا تضور من الجوع وهزل ، والذئب فى هذه الحالة أشد فتكا ألف الوحوش لأنه وجد فيها خلالا فضلى وأنها لاتبدأ بشر فآنسته وأنس بها . كقول الشاعر

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

(٢) أرى الى نارى . أى انضم الى نارى تقول أويت الى فلان بغير مد على وزن فعلت أرى اليه ممدوداً فى المستقبل على وزن أفعل فأما اذا كنت أنت الذى تؤويه أى تضمه فتقول اريته بالمد على وزن افعلته أؤويه ايواء على وزن انعالا قال الله عز وجل (وفصيلته التى تؤويه) أى تضمه وتنسبه اليها والمألف . الموضع الذى يجتمع فيه الأحباب كأنه يؤلفهم فلذلك سمى مألفا والعفاة . الفقراء وأحدهم عاف مثل قاض وقضاة . والقرى . الضيافة ويدعو العفاة .أى يندبهم ضوؤها . والكرام من العرب يوقدون النار ليستدل بها على أمكنتهم قال حاتم طيء يخاطب غلاما له

أوقد فان الليل ليل قر والريح ياواقد ريح صر
على يرى نارك من يمر ان جلبت ضيفا فأنت حر

وهذا أجود ماروى فى هذا المعنى .

يقول ان هذا الضيف رأى النار التى أوريتها والشواء الذى عملته عليها

لِلّهِ مَا طِيفُ خَيَالٍ زَائِرٍ ... تُزِفُّهُ لِلْقَلْبِ أَحْلَامُ الرُّؤَى (١)

يَجُوبُ أَجْوَازَ الْفَلَا مُحْتَقِرًا ... هَوْلَ دُجَى اللَّيْلِ إِذَا اللَّيْلُ انْبَرَى (٢)

سَائِلْهُ إِنْ أَفْصَحَ عَنْ أَنْبَائِهِ ... أَنَّى تَسَدَّى اللَّيْلَ أَمْ أَنَّى اهْتَدَى (٣)

فأوت اليها فالعرب جعلوا النار مألفا يؤمه طلاب القرى برؤية ضيائها يقول إن ضياء نيراننا بمثابة دعوه أبناء السبيل إلى الطعام .

(١) لله ما طيف . اللام فى هذا بمعنى التعجب يقال لله زيد ما أكمله فى جميع حالاته وما زائدة والتقدير لله طيف خيال . والطيف ما يراه الإنسان النائم فى صورة محبوبه . والخيال الشخص الذى يتخيل لك . وتزفه : تحمله من قولك زففت العروس إلى زوجها أزفها إذا حملتها اليه . والاحلام جمع حلم . والرؤى جمع رؤيا ، يقول ما أعجب هذا الزائر الذى زارنى طيف خياله وقد رأتنى إياه الأحلام التى أراها فى منامى وزفته إلى قلبى كما ترف العروس .

(٢) يجرب أى يقطع وأجواز الفلا : أوساطها جمع جوز ، والفلا جمع فلاة : القفر من الأرض ، ومحتقرا أى متصغرا ، لهول دجى الليل ، والدجى : الظلمة جمع دجية ، وانبرى : اعترض ينبرى انبراء فهو منبر واسم المفعول منبرى اليه الشدة وجمعه أهوال . يصف هذا الحبيب الذى زاره طيف خياله بأنه يسرى فى الليل وسط الصحارى والفلوات مستهينا بما يلقاه من أخطار وصعوبات وأهوال

(٣) سائله يعنى الخيال . وعن أنبائه عن أخباره وواحد الأنباء نبأ ، ان أفصح : ان أبان يقال أفصح بفصح افصاحا فهو مفصح ، أنى : أى كيف ومنه قول الله عز وجل « أنى لك هذا » أى من أين لك هذا . تسدى : امتدق السير . وقيل تسدى الليل قطع الليل بالسير يقال سديت الوادى إذا قطعته ويقال تسدى ركب . ويقال تسديت الشىء أتسداه تسديا اذا ركبته وعلوت عليه ومنه قول امرىء القيس :

أَوْ يَدرِي قَبلَهَا مَا فَارِسٌ وَمَا مَوَامِيهَا الْقِفَارَ وَالقُرَى (١)
وَسَائِلِي بِمُزْعِجِي عَنْ وَطَنٍ مَا ضَاقَ بِي جَنَابُهُ وَلَا نَبَا (٢)

فلما دنوت تسديتها فتوبا نسيت وثوبا أجر

فمعنى قطع هنا أحسن وأم أنى اهتدى معناه من اين اهتدى لزيارتنا واهتدى : استدل ومعنى اهتدى فى الدين استدل على طريق الحق والرشد ، يقول اسأل هذ الزائر ويريد به الطيف لعله يجيبك عن سؤالك أو يفصح ويجلى عن أخباره ان كان يستطيع البيان من أين أقبل راكبا هول الليالى وكيف اهتدى الى مكانى ، يقول : ان هذا المكان الذى هو فيه مكان مخيف منقطع لا يرده أحد ولا يهتدى اليه كائن حتى أن الأطياف يبعد أن تمر به والجان لا تقدر أن تعبره .

(١) او كان يدرى قبلها يريد قبل هذه الزورة ثم أضمر وجاء بالمضمر لأن سياق الكلام يدل على الضمير ، وما فارس : يريد أرض فارس فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وهذا كثير فى القرآن وفى لسان العرب والموامى : القفار واحدها موماة . والقرى : المدن واحدها قرية . يقول اسأل طيف هذا الحبيب أكان يدرى قبل هذه الزيارة أرض فارس ومواميها المقفرات المخيفة وقراها العجيبة ومدنها الغريبة وانما كان يعنى نفسه لأنه رحمه الله قال هذه القصيدة بعد خروجه من البصرة الى فارس يمدح بها الأمير الميكالى وابنه

(٢) سائلى أضاف وهو يريد الانفصال وذلك أنه جعله نكرة لأن الواو وأو رب درأ ورب سائل فأضاف . ومما اضيف ومعناه الانفصال قول الله تبارك وتعالى « كل نفس ذائقة الموت » وكذلك « هدايا بالغ الكعبة » اى كل نفس ذائقة الموت وهديا بالغاً الكعبة وكذلك تقول مررت برجل ضارب زيد تريد ضارب زيداً فنت به الرجل وجعلته نكرة وان كان مضافا الى معرفة لأنك تنوى به الانفصال . وبمزعجى اى بمزيلى ومخرجى . والباء فيه فيه بمعنى عن كأنه قال وسائلى عن مزعجى والعرب تقول رب سائلى يريد اى عن زيد والوطن : المحلى وجمعه اوطان . والجناب . يفتح الجيم الناحلية ولا نبا . اى

قُلْتُ القَضَاءُ مَالِكٌ أَمْرَ الْفَتَى

مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي وَمِنْ حَيْثُ دَرَى (١)

لَا تَسْأَلَنِي وَاسْأَلِ الْمِقْدَارَ هَلْ يَعْصِمُ مِنْهُ وَزَرٌ وَمُزْدَرَى (٢)

لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى امْرُؤٌ مَا خَطَّهُ ذُو الْعَرْشِ مِمَّا هُوَ لَاقٍ وَوَحَى (٣)

ولا ضاق يقال نبا ينبو نبوة فهو ناب . يقول : ورب سائل لى متوضح من الأمر الذى أزعجنى عن أرض العراق وما كان جنابه ولا نواحيه ضيقة بى ولا كانت أرضه نابية مقلقة لى تقض مضجعى ، وفى هذا إشعار بألمه العظيم و ندمه على هجر بلاده ووطنه إلى أرض فارس و تعلقه بوطنه

(١) يرد سبب خروجه من البصرة وسفره إلى فارس إلى قضاء الله وقدره وأن أمور الناس رهن القضاء وصروفه يوجهها حسب إرادته لا دخل لارادة العبد مطلقا فى ذلك ولا للمشيئة ولا علمه وجهله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)

(٢) لا تسألنى : يرد على السائل الذى سأله عن السبب الذى أزعجه وأخرجه عن وطنه . والمقدار : القدر وهو ما قدر على الإنسان من خير وشر ثم قال هل يعصم منه : أى يمنع منه يعنى من القدر ومنه ، ومنه قول الله عز وجل (لا عاصم اليوم من أمر الله) أى لا مانع . والوزر : الملجأ وجمعه أوزار . والمزدرى : المكان المرتفع المانع وهو من الذروة ، والذروة أعلى الجبل ، وقيل أو مذرى أراد به جابسا عزيزا من قولهم فلان فى ذرى فلان بفتح الذال أى فى جانبة كأنه قال لا يعصمه ملجأ ولا جانب يمنعه غيره ، ويروى بالدال المهملة والمدرى المدفع وهو من ذرأت أى دفعت . يقول : دع عنك مساءلتى ولا تعتنى بكثرة سؤلك فلا جدوى من وراء ذلك ولكن إذا أصيب فاسأل القدر نفسه وما يصيب الإنسان ويلم به من أحداث الدهر و نوائبه ، اسأله أيوجد عاصم ووزر وملجأ يحول بين الإنسان وبين أحداثه ؟ أهناك ما يدفع عنه غوائل القدر و نوبه ؟

(٣) لا بد : حتم ، وما خطه ذو العرش : يريد ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ

لَاغَرْوَ أَنْ لَجَّ زَمَانٌ جَائِرٌ فَاعْتَرَقَ الْعَظْمَ الْمُمِخَّ وَانْتَقَى (١)
فَقَدْ تَرَى الْقَاحِلَ مُخْضَرًّا وَقَدْ تَلْقَى أَخَا الْإِقْتَارِ يَوْمًا قَدْ نَمَا (٢)
يَاهؤُلَيَّا هَلْ تَشُدْنَّ لَنَا نَاقِبَةَ الْبُرْقُعِ عَنْ عَيْنَيْ طَلَا (٣)

روحى : معطوف على خطه ومعنى وحى كتب يقال وحى يحى وحيا إذا كتب

يقول إنه لا عاصم ولا وزر هناك بل حتم أن يلاقى كل امرىء ما كتبه الله عليه عليه وغيبه وقضاه وحتمه فى أم الكتاب وأن يرضخ لحكم القضاء وتصاريفه كالعبد القن الذى ليس فيه شائبة من حرية

(١) لا غرو : لا عجب . ولج زمان : عرض وألح زمان . فاعترق العظم : أى أزال عنه اللحم : والممح : الذى فيه المخ . وانتق : استخرج منه النقى وهو المخ . يقول لا تعجب بعد ذلك حين ترى الزمان والجائر يلح على العباد ويقصدهم بالاساءة والكروه وينحى عليهم بشتى المصائب التى تشوه الجمال وتذويه وتعترق العظام السمينة القوية الممتلئة بمادة القوة والحياة فيزيل ما عليها من اللحم والبضاضة والسمن ويمتص ما فيها من المخ والدهنيات ويتركها جلودا على عظام كالحة اللون ضعيفة وأهنة القوى وهذا مثل لما يصيب أشراف الناس ويلحقهم من العدم والفاقة . ومثل لحالته التى وصل اليها

(٢) القاحل : اليابس . وأخو الاقتار : المقل من المال ، ونما . زادوا استغنى . يقول كما ترى الأرض القاحلة التى لا نبات فيها قد اخضر أديمها بالعشب والنبات وترعرع فيها الشجر وجاد بالثمر . كذلك تجد الفقير البائس قد أقبلت الدنيا عليه وعظم ماله واستغنى وعز أمره بعد أن كان حقيرا ذليلا

(٣) هؤليا . تصغير هؤلاء . ونشدتن . طلبتن ، وقيل نشدتن عرفن من قولهم تشطت الضالة إذا عرفتها . وناقبة البرقع . أى مغطية البرقع والمتقنعة به ويروى رافعه البرقع أى التى إذا رفعت البرقع عن وجهها رفعته عن عينى طلا ويروى أيضا ثاقبة البرقع بثاء مثلثة يريد المضيئة الوجه ومنه قوله عز وجل

مَا أَنْصَفَتْ أُمُّ الصَّبِيِّينَ الَّتِي أَصَبَتْ أَخَا الْعِلْمِ وَلَمَّا يُصْطَبِ (١)
إِسْتَحْيِ بِيضًا بَيْنَ أَفْوَادِكَ أَنْ يَقْتَادَكَ الْبَيْضُ اقْتِيَادَ الْمُهْتَدِي (٢)

(النجم الثاقب) والطلا . بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية وجمعه أطلاء

وهذا انتقاله من موضوع إلى آخر يقول لأصحابه ألا طالبتن المرأة الحسناء المتنقبة بالبرقع على عينين ساحرتين جميلتين كعيون بقر الوحش حورا وجمالا ، وإنما هو زجر وتعنيف لمن يتتبع النساء والجمال بعد زمان مصبا والطيش وقد ناداهم بصيغة المصغر ليدل على أن طلب النساء إنما يكون فى زمن الحداثة ويؤيد هذا الذى أذهب اليه أنه يردع الأشيب عنه

(١) ما أنصفت أم الصبيين . هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة وقيل أم الصبيين يعنى بالصبيين للعينين سميا بذلك الشخص الذى برى فيهما كالصبيين وهو الذى يسمى إنسان العين وهذا قول حسن ويروى الصنيين بضم الصاد وهما الخرصان اللذان يكونان فى الأذنين . وأصبت أخا الحلم . أى ردته إلى الصبا وهو اللهو . والحلم . العقل . ولما يصطبى أى لم يرد إلى الصبا فلما هنا بمعنى لم ترد قبل ذلط إلى الصبا . بعد و زجر الكبير المسن عن النظر إلى النساء الجميلات والتلفت اليهن وطلبهن ونشدانهن عرض لزجر النساء يقول ليس انصافاً منك أيتها المرأة التى كبرت وأصبحت أم صبيين أن تبتذل جمالها وتعرضه فى سوق الهوى والبطالة وتعرض العاقل الحليم الذى لم يقع فى شرك النساء من قبل فيقع بسببها أسير الهوى والجمال وربما كان ذلك وصفا منه لامرأة بعينها جميلة جعلته عرضا لهو ها ورمنه نفسه بحسن وجهها وجمال عيوبها فأقصدته

(٢) استحى . فعل امر من الحياء الذى هو ضد القحة . وبيضا . أراد من بيض فلما أسقط من تعدى الفعل فنصب . والبيض) لأول هو الشيب والبيض الثانى النساء ، يخاطب نفسه ويعاتبها يقول استحي من شيبك ان تستميلك النساء فيردنك من طريق الحلم إلى التصابى . وبين افوادك . جمع قود والفودان جانبا الراس اى ناحيتاه من يمين وشمال . ويقتادك .

هَيْهَاتَ مَا أَسفَعَ هَاتا زَلَّةً أَطْرَبًا بَعْدَ المَشيبِ وَالجَلَا (١)
يَارُبَّ لَيْلٍ جَمَعْتُ قُطْرَيهِ لِي بِنْتُ ثَمَانِينَ عَرُوسًا تَجْتَلَى (٢)

يقودك ويسوقك . واقتياد . سوق والمهتدى . الأسير ، ويروى المفتدى أيضا بالفاء وهو الأسير ، ويروى المعتدى بالعين المهملة يريد المعتدى عليه فيكتفى بعلم المخاطب من الصلة وهو قبيح والمعتدى عليه هو المظلوم الذى اهتدى عليه قال الله عز وجل (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) يقول لمن أبيض شعر فرديه ألا تستحى من طلائع المشيب التى ظهرت تباشيرها بين فودى رأسك . إن سنك قد كبرت وعقلك قد تم واكتمل ورجح فيجدر بك أن تتبع الحزم ولا تتبع الهوى وجهال النساء فتساق الى حتفك كما تساق الذبائح التى تهدى فى المشعر الحرام لتنحر وتسفك دماؤها . انه لجدير بك أن تكون أنت الهادى المسير لغيرك لا أن تكون أنت المهتدى فدية أو هدياً يضحى به

(١) هيهات : كلمة تبعيد . وهاتا . للمؤنث بمنزله هذا للمذكر ويروى ما أشنعها نازلة أى ما أشنع هذه النازلة نازلة واشنع . اقبح . والزلة . الخطيئة والسقطة والنازلة المصيبة تنزل بالإنسان ونصب أطربا بفعل محذوف كأنه قال . أتطرب طرباً بعد المشيب والطرب فى هذا الموضع الفرح والطرب خفة تصيب الرجل عند شدة السرور أو عند شدة الجزع . والجلا . بفتح الجيم مقصورا انحار الشعر عن مقدم الراس . يقول بعد لما تصنعه ايها الأشيب الأحمق من تصابيك ، انها لزلة عظيمة شائنة وفعلة معيبة تسود الوجه وتملؤه عيوبا . افيليق بك ان تطرب وتلهو بعد أن غزا المشيب راسك وجلا الشباب زينته عنك

(١) جمعه قطريه . اى جانبيه وهما هنا الطرفان اول الليل وآخره . وبنت ثمانين . هنا الخمر . وانما سميها بنت ثمانين لأن من شربها اجبت عليه ثمانين جلدة . وتجتلى . تجلى من جلوت العروس وهو اظهارها . يذكر ايام الشباب واللهو والمرح الصاخبة بمجالس الشراب فيقول كم من ليلى وصلت لى طرفيه ضيوحه وغبوقه الخمر المعتقة التى لبست فى دنها ثمانين سنة كانت حين

لَمْ يَملِكِ الْمـاءُ عَلَيها أَمْرَهَا وَلَمْ يُدَنِّسْهَا الضَّرَامُ الْمُحْتَضَى (١)
حِينًا هِيَ الدَّاءُ وَأَحْيَانًا بِهَا مِنْ دَائِهَا إِذَا يَهِيجُ يُشْتَفَى (٢)
قَدْ صَانَهَا الْخَمَّارُ لَمَّا اخْتَارَهَا ضَنًّا بِهَـا عَلَى سِوَاهُ وَاخْتَبَى (٣)
فَهِيَ تَرَى مِنْ طُولِ عَهْدٍ إِنْ بَدَتْ فِي كَأْسِهَا لِلْأَعْيُنِ النَّاسِ كَلَا (٤)

تدار علينا كؤوسها مع الوصائف والوصيفات كعروس أبرزت من خدرها وزفت مع أترابها ولداتها لبعلها وهذا يهدم دفاعنا عنه فى المقدمة عفا الله عنه

(١) لم يملك المـاء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتها ولم يدنسها . لم يغيرها والضرام الحطب الدقيق يوقـد به الحطب الغليظ والمحتضى العود الذى تحرك به النار وهو من قولهم حضأب النار إذا حركتها وأحضأتها إذا أشعلتها ومنه قول الشاعر

ونار قد حضأت بعيد وهن بدار ما أريد بها مقاما

وقيل الضرام النار المضرمة والمحتضى المحرك أى لم تمزج بالمـاء والخمر إذا مزجت بالماء ضعف تأثيرها يقول انها قوية لم يلحقها المزج بوهن ولا فتور أو كلال وكما أنها لم تضعف بالماء كـذلك فانه لم يحم عليها بالنار ولم تسو بها بل خمرت من دون نار ولاضرام لان الضرام يدنسها ويذهب كريم طباعها

(٢) يقول ان الخمر فى بعض الاحيان داء وانما يكون ذلك عند أول شربها فاذا أصيب شاربها بدائها فان شربها يكون هو الدواء لذلك الداء وهذه مغالطة وهى كما يقول أبو نواس « داوني بالتي كانت هي الداء »

(٣) قـد صانها الخمـار اى حفظها وضنا اى بخلا واختى وخبى اى ستر وقوله كلا اى كلا خمر يقول ان هـــذه الخمر معتقة وطيبـــة وانها مما يضن ويبخل به فان الخمار الذى سبأها واشتراها لما تخيرها ورأى ما فيها من المميزات صانها فى دنانها ومنع عنها كل يد سواه وخبأها فى الستور والمخابىء ضنا بها

(٤) يقول انها لطول ما حفظت رقت وخفت وصفت فاذا صبت فى

كَأَنَّ قَرنَ الشَّمْسِ فى ذُرُورِهَا بِفِعْلِهَا فِى الصَّحْنِ والْكَأْسِ اقْتَدَى (١)
نازَعْتُهَا أَرْوَعَ لَا تَسْطُو عَلَى نَدِيمِهِ شِرَّتُهُ إِذَا انْتَشَى (٢)
كَأَنَّ نُورَ الرَّوْضِ نَظْمَ لَفْظِهِ مُرْتَجِلًا أَوْ مُنْشَدًا أَوْ إِنَّ شَدَا

الكؤوس شابهتها لأن الأمر يختلط على الرائى فتحسبها الكأس ، ويوضح هذا قول الشاعر .

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(١) قرن الشمس . اى شعاعها . وذرورها ، بالذال المعجمة وطلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت . ومنه لا أكلمك ماذر شارق أى ماطلع نجم . والصحن ، الكبير الواسع والكاس القدح اذا كان فيه خمر ، ومعنى اقتدى . اتبع أثره . يقول إن هذه الخمر حين تصب فى الكؤوس أو الأقداح تضىء ما حواليها وكأن الشمس حين تطلع إنما تقلدها فى فعلها وتحاكيها

(٢) نازعتها أى ناولتها وأدرتها من قول الله عز وجل (يتنازعون فيها كأسا) الأروع . الحسن المنظر الجميل ، لا تسطو ، لا تعدو مأخوذ من السطوة يقال سطا يسطو سطوة إذا عدى عليه ؛ والنديم ، الصاحب والشرة ؛ الحدة ، وانتشى ، سكر المنازعة مفاعلة من جانبين أى كنت أنا ونديمى أتنازعها فأعطيه الكأس مرة ويعطينى الكأس أخرى ، يصف نديمه هذا بأنه حسن المنظر جميل الصورة رائع الحسن مؤدب لاتخشى بادرته حين تلعب الخمر بعقله وينتشى ويذهب لبه بل يظل هادىء الطبع حلو المجالسة لطيف الصحبة

(٣) النور ، الزهر ؛ المرتجل الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد ؛ أو منشدا أى منشداً للشعر أو ان شدا أى أو أن تعلم شيئاً من العلم وقبل أو إن شدا أو إن غنى وهو أجود وأليق بالمعنى لأن هذه الاحوال التى وصفها أحوال طرب لا أحوال صلب فلا معنى هنا لطلب العلم : والشادى فى كلام العرب المغنى والشد والغناء يقال شدا يشدو شدواً إذا غنى

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الفَتَى قَدْ نِلْتَهُ وَالْمَرْءُ يَبْقَى بَعْدَهُ حُسْنُ الثَّنَا (١)
إِنْ أَمُتْ فَقَدْ تَنَاهَتْ لَذَّتِى وَكُلُّ شَىءٍ بَلَغَ الحَدَّ انْتَهَى (٢)
وَإِنْ أَعِشْ صَاحَبْتُ دَهْرِى عَالِمًا بِمَا انْطَوَى مِنْ صَرْفِهِ وَمَا انْتَشَى (٣)

يقول إنه أدايب راوية ناثر شاعر مرتجل ألفاظه جميلة كأنها أزاهير الرياض فى الملاحة والنضارة واخفة على السمع .

(١) من كل ما نال الفتى قد نلته . أى من كل شىء طلب الفتى فأدركته من خير أو شر . والثناء . هنا مقصور يكتب بالألف لأنه من ثنا عليه كلاما حسنا وقبيحا ينثوه شرا وهو بتقديم النون على الثاء إذ تكلم فى جانب المذكور بذلك الكلام فأما الثناء بتقديم الثاء على النون ممدوداً فلا يكون إلا فى الخير خاصة قال الشاعر فى النثا الذى يكون للخير والشر .

ولو عن نثا غيره جاءنى وجرح اللسان كجرح اليد

وقال الآخر فى الثناء الذى يكون للخير خاصة .

هذا الثناء فان تسمع به حسناً فلم أعرض ـ أبيت اللعن ـ بالصفد

لما عدد كل الملاذ والمتع والمفاخر التى لبنى الإنسان من الفروسية وركوب الخيل العتاق واستصحاب الرماح السمهريه وصحبة كرام الناس وأجوادهم وأشرافهم مع ما هو عليه من قويم الاخلاق والقوة والبسالة والعطف على الصديق والعفو عن الضعيف أفاض فى ذكر النساء والخمر وحسن الندامى والأصحاب وكل خير يناله الفتى واستمتعت به حياتى ولقد أبقيت بعد مماتى الثنا الحسن والذكر الجميل فقد جمعت بين الشرفين وحزت أسنى الغايتين

(٢) تناهت لدتى . بلغت النهاية والغاية . والحد . الشىء الذى لا يتجاوز

يقول إننى اذا مت فكفى ما أصبت من اللذائذ واستمتعت به من طيبات هذه الحياة ويعزينى فى ذلك أننى نلت غاية اللذة وكل ما بلغ الغاية تلاشى

(٣) بما انطوى من صرفه وما انتشى . انطوى استتر وانتشى ظهر وهو

حَاشَا لِمـا أسأرَهُ فى الحِجا وَالحِلمُ أن أتبعَ رُوَّادَ الخَنَا (١)

أو أن أُرَى لِنَكْبةٍ مُختَضِعا أو لِابتِهَاجٍ فَرِحاً وَمُزدَهى (٢)

بالشين المعجمه والمستقبل ينتشى وصرف الدهر تقلبه . يقول . إننى لطول اختبارى للحياة وتجربتى وابتلائى بالشدائد والمحن ، أصبحت عالما بما تجنه الأيام والليالى فان قدر لى عيش فأصبر على البلاء .

(١) حاشا . كلمة تبرئة والتبرئة نفى الدنس عن ذات المخاطب قال عز وجل (وقلن حاش لله) . وأساره . أبقاه ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا شربتم فأسئروا » أى أبقوا فى الاناء بقية والسؤر البقية . والحجا . العقل . والحلم . التغافل عن كل مكروه يقابل به ويراجه . والرواد . جمع رائد . ورائد القوم رسولهم الذى يرتادلهم موضع الكلا أى يطلبها لهم ، والكلا . العشب . والخنا . الفحش فى الفعال أو المقال وهو من الخنوة وهى الفرجة فى الخص . يقول إنه لايليق بى ولا يتعلق بحاشيتى وانى أتنزه وأبرأ عن سلوك الطريق التى يرتادها السفلة الرعاع فان لى بقية من العقل والحلم تمنعنى من غشيان هذه المسالك .

(٢) أوأن أرى مختضعا . أى متذللا . والنكبة . المصيبة الحادثة والابتهاج السرور . والمزدهى . المستخف وقيل المعجب . يقول كذلك من المحال ان يرانى أحد ذليلا ضارعا إذا عرتنى نكبة أو يرانى إنسان فرحا معجبا إذا نالتنى مسرة بل أنا حازم مالك لزمام نفسى راض بما قسم الله لى ، لتيقنى أن مصائب الدنيا ونكباتها زائلة . ومسراتها ولذاتها فانية . ولن يبقى غير وجه ربك ذى الجلال والاكرام .